عَلِيْ اَلشَرْقِيْ

# بَيْتُ الْأُمَة وَطَبَقاتُها

جمع وتحقيق

موسى الكرباسي

صدر ضمن موسوعة الشيخ علي الشرقي

النشرية

1989بيت الأمة وطبقاتها

## تمهيد

من خلال معايشة الشيخ علي الشرقي واقع حياة المجتمع العراقي ، وفي ضوء منظوره تمكّن من الوقوف على احداث عاشها ، والتطلع بافق واسع ، وعريض لما صورته هذه الاحداث من العيش ، وتداول سبل المعيشة بين الافراد ، والطرائق والعادات، والتقاليد التي حفلت بها مسيرة الحياة الاجتماعية عبر ازمان استهدفت تحليل ما كان عليه من الوان في الطراز ، والشكل والطريقة لتثبت ابعادها باسلوب اديب رشيق، ومعالجة نقدية صريحة، وبقلم ساخر احيانا منطلقا من افكاره المتجددة المعبرة عن حداثة في العرض، وعن تفكير مركز، وعن اسلوب صريح.

## بيت الأمة

يبدر الى الذهن لاول وهلة عند تلقيه عبارة "بيت الأمة" أن المقصود بالمعنى هو مجلس الأمة، او البرلمان .غير ان الشيخ الشرقي لم يقصد بمقالاته ذات الاثنتي عشرة حلقة، والمنشورة في جريدة العراق بعدد 1979 وتاريخ 30 تشرين الاول 1926 ابتداءا ، وبعدد 1991 وتاريخ 13 تشرين الثاني انتهاءا .. اقول لم يقصد الشيخ الشرقي ذلك المعنى وانما اراد البيت العراقي، وما عليه من سلوكية في العيش ، والتقاليد ، والعادات وصولا الى ما تكشفه سطور التحليل من حقائق، ومعارف يستطيع ابناء هذا الجيل الجديد، والصاعد الاطلاع عليها وربطها بما هم عليه في عصرهم الذي الفوه . وقبل الدخول الى ساحة البيت العراقي المراد يعود الشرقي بالزمن ليربط بين ما كان عليه هذا البيت بالبيوت التي سبقته زمنيا كالبيت التركي والبيت الهندي وما تميزا به من سمات وخصائص، ومن تقاليد وعادات ووسائل للعيش وطرائق كل منهما في اختيار لون الاسلوب الملائم لحياة ساكنيه .

على ان الكاتب قد صب كل اهتماماته في هذه الحلقات على البيت العراقي مبتدأ بطرازه ومعماره ثم منتقلا إلى نوع الحياة السائدة فيه ومشيرا الى طبيعة العلاقات الأسرية بين افراده مع الاهتمام بشكل خاص بمصادر تمويل ذلك البيت التي تنوعت بتنوع منزلته الاقتصادية والاجتماعية.

**المحقق**

**موسى ابراهيم الكرباسي**

**- 1 -**

# بيت الأمة

(1)

تهافتت الطبقة المتنورة في يوم من ايام النهضة المصرية ، وازدحمت في بيت الزعيم سعد زغلول باشا ، وما اكثر طواف المصريين بذلك البيت فأطل عليهم دولة الرئيس، وشكرهم على ازدلافهم الى بيته وما اسرع ما أجابه احد الادباء: انا لم نقصد بيتك، وانما هو بيت الأمة. فاستحسن المصريون هذا الوضع، وعرف بيت سعد ببيت الأمة. وليس عندنا لا سعد ولا بيته كما اني لا اريد ببيت الأمة تلك الندوة السياسية التي يصطلحون عليها بيت الأمة وهي البرلمان او مجلس النواب ، انما اقصد ببيت الأمة البيت العراقي، ذلك البيت الذي يتكون منه القطر العراقي، ويتخرج فيه مجموع العراقيين، ولا فرق عندي في ذلك البيت سواء اكان قصرا ، او كوخا، او دويرة. فان الأمة المتجددة لا بد ان تتجدد في عدة مراكز مؤثرة في حياتها، ونظمها واجتماعاتها. واول تجدد يطرأ على الأمة في نفسيتها العميقة، في رغباتها، ومشاعرها وانفعالاتها، اي في حياتها الكامنة وراء هذه الحياة الظاهرية . ثم تتجدد في بيتها، ففي نظامه، وهندامه، واسباب الراحة فيه ، والاعاشة ، وآدابه، وتقاليده وتربيته. ثم يطفح ذلك التجدد الى الشوارع والنوادي . فترى ظواهر جديدة تستقبلك من ههنا وههنا تتمخض فتجتمع زبدتها في ديوان الحكومة ، وفي المدرسة والمصنع والمعمل .

هذه هي الطريقة المثلى للتجدد . فاذا اختلف المنهاج ولم تنتظم الخطى تعطلت القافلة ، وبعدت عليها الشقة. واني لأرى المسعى المشوش في السير العراقي، فان العراق بدأ يتظاهر بالتجدد في دواوين الحكومة، وفي الادب المدرسي ، وفي الالفاظ المصطلحة قبل ان يتجدد في البيت . فالتطور العراقي - ان كان هناك تطور- هو مادي اكثر منه معنوي ، وتجدد خارجي اكثر منه تجدد داخلي ، وما هو الا مواد اجنبية تحتل البلاد وتستعمر الأمة في بيتها ، وفي اخلاقها وفي نظامها وآدابها.

اجل ان التجدد في العراق ، لم يتنول دخائل الأمة ، بل تناول ظاهرها فقط، فالعادات والتقاليد والاخلاق راسخة على قدميها في اعماق النفوس وفي زوايا البيوت ، وان امتدت اسلاك البرق والهاتف ، وانتظمت البرد ووسائل المخابرات ، وطوقت الخطوط الحديدية القطر العراقي وحلقت الطائرات اسرابا في سماء العراق، وتخاطفت السيارات من ههنا وههنا، وتغير الزي والهندام والبزة ،وتطور الوضع الهندسي في البنية والشوارع، وترنم الحاكي في المقاهي والمجتمعات، وتداول التصوير الشمسي والصور المتحركة، وكثرت زجاجات الصودا ، وقوارير الناملیت ، وبقية الوسائل، وشاعت الكواكب الكهربائية ، ومراوحها، وتبدل غناء

الشوارع بالنشيد، وانتشرت اساليب جديدة في عدة اشياء من اصباغ ، ودهون وزينات ونماذج مختلفة . ولكن هذا التطور والتجدد ظاهري لا داخلي نتائج اوروبية حملها السيل الى القطر العراقي، ولم يحمل شيئا الى نفوس العراقيين وعقولهم ، ولا تسرب الى الحياة الاجتماعية في العراق شيء منها. كلا ولم تظهر حركة لتلك العوامل على تلك الالف الملساء . فهندسة البيت العراقي وقرميده واصباغه جديدة ، ولكن البيت قديم قديم لم يتزعزع شيء من نظامه ، وحياته المنزلية، ولا تزحزح شيء من عاداته ، وهكذا مكثنا نتعاطى القديم على بلاه وعلاته .

واني قد اتخذت بيت الأمة ، وحياتها الداخلية مقياسا لتطورها ورقيها ، وسأثبت لك شيئا عن البيت التركي ، وشيئا عن البيت الهندي ، وشيئا عن البيت العراقي، حتى تطلع على نسبة التجدد في البيوت الثلاثة. وهذه النسبة ليست كما هي اليوم فربما كان هناك تفاوت او سبق في الزمان بين البيوت الثلاثة، ولكن مقياسي هو الدرجة الاولى من التطور في البيت التركي اي منذ 30 عاما تقريبا، والدرجة الاولى من التطور في البيت الهندي اي قبل ربع قرن تقريبا، والدرجة الاولى من التطور في البيت العراقي وهو التجدد المزعوم اليوم.

---

(1) جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 1979 السبت 30 تشرين الاول 1926م - 22 ربيع الثاني 1345 هـ.

# -2 -

# البيت التركي قبل (30) عاما

(1)

جاء في كتاب حاضر الاسلام ان المستشرق الهنغاري (قمباري) عاد الى القسطنطينية عام 1896 ميلادية بعد غيبة اربعين عاما ، فدهش مما شاهده من عظيم التحول والانقلاب . يقول : سمعت جلجلة الآلات المتحركة تخالطها اصوات المؤذنين يصرخون على رؤوس المآذن، وقد كانت دهشتي ، وعجبي ابلغ لما دخلت المنازل والبيوت ، فبدا لي ان الأمة التركية قد تبدلت من حال الى حال وانتقلت من دور الى دور . يعظّم قبماري شأن الارتقاء الداخلي في الطبقات التركية التي تناولها التهذيب والتعليم، وقال : ان التركي اخذ يرتاح ويتجدد في العادات والاداب لا في الصور الخارجية فقط ، بل في اسلوب المعيشة المنزلية وذلك من صيغة الاثاث البيتي والمتاع والاداب على المائدة واحترام المرأة ، وغير ذلك . وقد زاد القول تأكيدا فصرح : ان المرأة التركية قد تبدلت اساليب حياتها تبدلا شاملا عفا منه كل اصل قديم، وقد لاحظ انتشار تعليم البنات ، وزيادة نصيب المرأة في القيام بتدبير الحركات الاصلاحية ، فقال : ان هذا الامر حيوي للامة لانه متى شرعت المرأة تقوم بواجباتها في الحياة المنزلية بصفة كونها عاملا من عوامل الارتقاء الحديث ، فان الاصلاح الحقيقي لا بد ان يثمر ثمره.

## البيت الهندي قبل ربع قرن

ذكر الخوجة بوخش المسلم الهندي، ان المرأة الهندية في بيتها سائرة في سبيل التحرير ، وقد انقضى العصر الذي كانت فيه سلعة تباع وتشترى، وصارت المرأة المسلمة في الهند تعلم وتهذب، وغدت تعرف حقوقها، وتحسن الدفاع عنها. نعم ان نظام (البردة) ، وهي الحجاب الهندي لم يزل شايعا ، ولكنه ليس من الشدة، ويوجب العزلة كما كان .

لقد انهار النظام القائم على ضيق المدارك في البيوت وحل محله استقلال فكري عملي فعفت صفة احترام الماضي، قال فلان ، وقال فلان ، وكان الاب في ظل الظلام القديم اب العائلة والعدة ووليها الحميم، وكانت كلمته شريعة مطاعة . اما الان فقد اصبح مجردا من الحال التي كان عليها من قبل وشاعت المساواة بين كل افراد العائلة في كل شأن من الشؤون. هذا شيء من التطور المبدئي في البيت التركي ، والبيت الهندي ، حسبما شهد به هذان الباحثان .

**البيت العراقي**

اما في العراق فبيوت ثلاثة : البيت النجفي ، والبيت البغدادي ، والكوخ وهو بيت الفلاح. واذا اردنا ان نعرف البيت العراقي حقيقة فيجب ان نعرف الكوخ الذي يقطن فيه الفلاح.

اما البيت النجفي ، والبيت البغدادي ، فهما لا يمثلان البيت العراقي ولكني استطرد ذكرهما ، ثم اذكر كوخ الفلاح ، واعتبره هو البيت العراقي لا غير ..

---

(1) جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 1980 الاثنين 1 تشرين الثاني 1926م - 24 ربيع الثاني 1345 هـ.

# - 3 -

# البيت النجفي

(1)

لا اريد به البناية الواقعة في مدينة النجف ولكن البيت الديني في العراق هو المقصود بالبيت النجفي . ويوجد فيه الف روح وروح للخير والشر والتفاؤل ، والتطير والغنى، والفقر ، والمرض ، والعافية والزجر والعيافة، والحروز والاوقاف ، والحب، والبغض، والتآلف، والتنافر ، عجائز ، وسوالف ، وقصص وأوراد .

اول ما يستوقفك اذا دخلت الى تلك البناية رأس وعل طويل القرنين ، لاجل التعوذ او رأس غزال مصلوب على الجدار ، أو حذاء عتيق معلق على تلك العمارة. وترى اكياسا ملئت بحب الرمل ولها شراشب من العفص وقطع صغيرة من الخزف الازرق ، وقد كتبوا على الكيس المعوذتين ، وغيرها من آي القرآن المجيد، وتجد ربة البيت وقد حفظت كل ليلة تعويذة .

وعندهم في ايام الاسبوع ، وايام الشهر ، والسنة ايام صالحة، وايام طالحة يسمونها كوامل وكثيرا ما ترد الاسئلة على بعض الروحيين كيف هذا اليوم ؟ وكيف هذه الليلة؟ وتسمع رنة الجواب «زين» ، و «مو زين» .

ولكل ظاهرة من ظواهر ذلك البيت روح خاص، فللزواج وللعقد على الزوجة ، وللحبل، وللنفاس ، وللولادة ، وللصبيان، وأم الصبيان عوذ ورقى عديدة ، وطب البيت بالرقى ووصفات العجائز.

اما نظام البيت ، واثاثه، فقديم رث . طالما ترى البيت مشوشا بالاواني المعدنية التي علاها الصدأ والوسخ والآلات الحديدية الصدئة والخشبية المكسرة، والمجبرة ، وحصر السعف، والفرث المجفف، والبعرور ، وابر الشوك ، والماء القذر الذي تستعمله المرأة ذات الاظافر الزرق.

بيت لا تسمع فيه الا ترنيما متقطعا على فم الفتاة، والا صوت الام البائسة التي تناغي ولدها في ارجوحته، وكل ذلك الصوت نعاء وتعديد.

يقول العراقيون اذا طابت النفوس غنّت ، ولكن في البيت النجفي نمة الا اذا حزنت نفوسه.

وعجوز البيت مجموعة من الاقاصيص، والسوالف، اما كبير البيت ، فهو الجبار الذي تسمع زمجرته ، وسبابه يتصاعد من شرفات البيت كل صباح ، ومساء. وهو اكبر الآلهة لذلك البيت، واذا حللت روحيات البيت النجفي لا تجده يدين بالحب والوئام بل لا توجد في البيت روحيات دين واحد وانما هو خليط ومزيج من اديان شتى.

## البيت البغدادي

وأريد به البيت المتمدن في العراق او بيوت الافندية، وهم الحزب المتجدد في العراق، فان هذا البيت، وان تجددت وضعيته الهندسية وتجدد نظامه في الاثاث والمرافق، فصار الحمام البيتي من مرافقه الاولية ، ومن ريازته الاصباغ والادهان على الاخشاب، والقرميد والسمنت ، ومن اثاثه الكراسي والاسرة والمراوح الكهربائية ، وتزينه الكواكب الكهربائية. ربما اشتبكت على جدرنه اسلاك الكهرباء، واسلاك الهاتف (التليفون) ، وكثرت فيه مكائن الطبخ، والخياطة، والتطريز وآلة المكوى ، فلا مواقد ، ولا دخان، ولا حطب ، ولا فحم ، وانما هو بترول، ونفط ، وكهرباء . ولا توجد فيه مخازن للميرة من البصل، والتمر مثلا ، خوابي ، ولا حبوب، ولا تنور ، ولا اجانه، ولا دلو ، ولا رحى، ولا قرب، او صناديق صفيح تنقل اليه الماء من النهر ، او يدلى بها من البئر ، وانما هي انابيب، وقساطل تفيض في الدار كل يوم برهة من الزمن ، فتغسل البيت ، وآلاته، وادواته.

وتبدلت ازياء ذلك البيت وانقلبت انقلابا كبيرا في البزة ، واستخدم الذوق ، والظرف، واللياقة في بزته، وزيّه من حيث اللون والتقاطيع ، ومن حيث مادة الخام، بينما كان يكثر من الالوان في ثياب الفتاة بدون ترتيب ، ولا تنسيق وكان مجرد التخطيط ، او التعضيد، او التلوين في الثوب مدعاة لامتيازه، واختياره.

اصبحت المرأة لا تجد في البيت البغدادي تلك العباءة الصوفية الخشنة، ولا تلك المقالع، والمعاصب ذات الالوان ، والاشكال ، والاوضاع الهندسية المختلفة، ولا ذلك الثوب الطويل العريض (الهاشمي) ولا ذلك القميص الذي اذا كان له ظهر سمي (زبون) واذا لم يكن له ظهار سمي (صاية). ولا ذلك الحذاء الاخضر المعروف عند العراقيين والعراقيات ، كل ذلك تجدد وتغيير، ولكن اهل البيت لم يتجددوا ولم يتطوروا لا في عاداتهم، ولا في اخلاقهم ، ولا في روحيات نظامهم العائلي .

فانك تجد البيت البغدادي كغيره من البيوت العراقية في تربيته وزفافه، وولادته، وحضانته، كله روحيات، وكله حروز وعوذ ، وكله أمية وجهل، وعجوزه تلك العجوز وشيخه ذلك الرب المعبود بالاطاعة . والمرأة فيه هي تلك المرأة التي يقول فيها احد الكتاب : انها تدلك قدمها، وتمسح حذاءها في اليوم عشرين مرة، ولا تمسح عقلها في السنة مرة واحدة.

---

(1)جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 1982 الاربعاء 3 تشرين الثاني 1926م - 26 ربيع الثاني 1345 هـ.

# - 4 -
# الكوخ -1

(1)

وهو البيت العراقي حقيقة كما سنشرح لك ذلك. واريد بالكوخ الخصاص والرباع والصرايف، والمضايف، والطنب و(الطوف) اي كل بيوت الفلاح العراقي، ومادتها غالبا من القصب ، والبردي ، والحصر ، وسعفات النخل ، والصوف ، والشعر والطين .وهذه العمارة اصح بناء لمثل الارض الزراعية كالعراق، لان الهواءيتخللها من كل جهاتها وما احوج المساكن العراقية لتجديد الهواء وتخلله . ولانها تلائم تلك الارض الرطبة النشاشة . ولانها تتفق مع الحالة الاقتصادية للفلاح العراقي، وذلك لبساطتها . واغلب ما تكون الخصائص في ارض البطايح، ومزارع الارز حيث تكثر الرطوبة والمستنقعات . اما ارض البساتين فيكثر فيها الطوف واللبن والآجر غير المشوي ، وغالبا ما تكون مرتفعة. واكثر العشائر العراقية تبنى الطنب، وتأنف من الخصاص مثل ربيعة، والمنتفق، وبني لام، وزبيد ، وخزاعل في حين اهل المرعى يكونون قرى رحالة من هذه البيوت. وما اجمل النظام القروي لا المدينة وجلبتها، ولا البداوة وخشونتها. وحبذا لو يكون نظام العالم كله نظاما قرويا، فلا تكون مدينة مكتظة متزاحمة ، وانغمست في البذخ او الترف او تكلفت في حاجياتها الكمالية ، ولا بداوة قد استحشفت او انقبضت حتى عن بعض الضروريات في حاجات الحياة ، فالقرية اجمل شيء خصوصا في البلاد الزراعية.

## اثاث الكوخ

اذا اردت ان تتهجس في زاوية للفقر ضيقة مظلمة ملؤها التعاسة، والشقاء، فادخل كوخ الفلاح العراقي . لا يوجد في ذلك البيت من الاثاث اكثر من مرجل، واجانة، وحجر وسقاء لخض اللبن وآل خشبية لهبش الارز وتقشيره وآجرة كبيرة على شكل آنية تسمى (طابوق) وبساط وأزرار ووسادة من صوف. هذا هو الاثاث، أما الغذاء، فخبز يصنع من الشعير، او من الدخن، وقد يصنع من (الدنان) هو حب يشبه الذرة الصفراء يوجد في مزارع الارز ، وكثير من الاكرة.

والفلاح يقتات بجريش الذرة البيضاء يغليه مع اللبن فتنعقد خاثرا يقتات به ذلك التعيس. واذا تحسن حظه، وخدمه الطالع ينال مقدارا من التمر، او البصل او يصطاد سمكة. وقد يقتاتون بالأرز المسلوق بدون سمن . وأهل الثروة الممكنة منهم، وهم السراكيل ،يتناولون الثريد وقد يأكلون مع الارز المطبوخ مرقاء وهو شيء من البصل المسلوق مع اللحم . واذا تأنق ذلك المسكين صنع «محلبي» وهو

نوع من الحلوى يصنع من السكر ، والحليب ويغلى بشيء من دقيق الارز. واذا كان عندهم يوم مشهود من ايام الضيافة يأتون بباطية مسنمة من الارز، وقد استعرضوا من فوق تلك الباطية شاة مسلوقة لم تنصل اعضاؤها ولم تقطّع، يلتف حولها الآكلون حلقة مفرغة متراصة وينهشون من ذلك اللحم قطعا يزدردونها مع لقافة من الارز المطبوخ ، ويقذفونها في افواههم كقنبلة في فوهة، ويزدردونها ازدرادا، ثم يجفلون عن تلك الباطية هبة واحدة، ويتركون هيكلا عظميا تتقزز النفس من منظره .

هذا غذاؤهم، اما ازياء صاحبة الكوخ، فعباءة من صوف خشنة، وثوب ، وقناع، وعصابة من الخام الأزرق .

في الغالب هذه هي حالة بيت المستقبل ، او البيت العراقي الحقيقي الذي يجب ان تصرف كل عنايتنا واهتمامنا في اصلاحه وانعاشه وتقويمه، فانه هو بيت الأمة. فليس العراق تلك المدن، والحواضر ، ولا العراقيون اولئك الحضريون المعروفون، انما تلك المدن اسواق للعراق، واولئك الحضر من موظفين وتجار وكسبة ومستأجرين يشتغلون فيما يحتاجه العراق من ضروريات وكماليات. والعراق الحقيقي هو ذلك السواد، وتلك القرى المبثوثة على متون دجلة والفرات وفي سهول العراق. تلك الاكواخ ، والخصاص هي المعامل العراقية ، وتلك النفوس هم العمال العراقيون والمستقبل للكوخ لا للقصر .

فقد مضى الزمن الذي كانت الامم مندفعة ومندفعة الى البلادة السياسية، او البلادة الدينية. وقد ذهب اولئك المقبلون او الملتجئون الى هذه والى تلك، اولئك الاتكاليون الذين يزدحمون للنسك هنا، وللاستخدام والتوظف هنالك، وطلعت طلائع تدل على انقلاب الوجهة والعدول عن الخطة الاولى الى النهج المستقيم. نعم بطل الخداع، والاتكال وترك الناس الامل الى العمل ، واخذ يروج قليلا سوق للاعتماد على النفس ، والكد الحقيقي .

وهيأت الاباء ابناءها الى التنحي عن حذلقة الاتكال، وعرفوا ان المصادر الطبقية هي المعول، والمعتمد.

---

(1) جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 1983 - 4 تشرين الثاني 1926م - 27 ربيع الثاني 1345 هـ.

# - 5 -

# 2- الكوخ

(1)

كان العراقي كسولا متقاعدا لا يتعاطى الا بالزائل المؤقت .وقد كان شديد الحرص على ان يطبع نفس ولده علي مسطرته، ولوحته الخاصة. وكانوا يعدون خروج الولد عن دائرة عمل الوالد كخروج عن النسب والمعتقد حسب طريقة الحمالين في بغداد، والمعممين في ايران. تجد احدهم يتلقى طفله من المهد هذا بشيء من المنسوج الابيض يلفّه على رأسه ، وذلك حبل مفتول يلقيه على متنه، فتراه يمشي وولده يتدحرج خلفه وامامه بصفة حمال صغير، او معمم طفل. على ان في اولئك الاباء المثري المسكين المقتدر على تهيأة ولده لأن يصبح من النابهين، او النابغين في التجارة أوالصناعة. ولكن جعل كل هذا يتلاشى ويضمحل، وعادت قيمة كل امرئ ما يحسن، وسقطت سيطرة الآباء على أبناء خلقوا لغير زمانهم فالامال لا تسمن بل لا تغني في حياة مادية تتقلب ما بين الزراعة والصناعة والتجارة . وانك لن ترى بعد اليوم اهتماما لغير البلاد الزراعية والصناعية .ولن تعرف إلا حياة الكد المستمر والتعب الدائم . ولا تستخدم هذه الآلات الحديدية الا ايد حديدية مثلها . فلا بد لنا من متانة وقوة مثل ذلك المعدن الصلب. وسوف تنعزل البلاد الدينية لطائفة من الناسكين المتجردين الهلّاك وتعود الى حالتها الاولى، صوامع منعزلة في اطراف الجبال ، او دور ملوذة في زوايا العالم. وكذلك هي حقيقة المناسك والناسكين: لا توسط في متدفق الاجتماع وعلى حادة سوقه المادي الدينوي بين جلجلة الآلات وقرقعة المعامل،. اما البلاد السياسية، فسوف تختص بطائفة من المعاشيين الذين يستأجرون لخدمة الفلاح والعامل . واهم بلاد المستقبل البلاد الزراعية، هي التي تعتمد على تربتها وسمائها فالعراق الذي هو من احسن بقاع العالم تربة وسماءا ماذا يكون شأنه في المستقبل؟ وماذا يكون شأن هذا الكوخ اذا اصبح بيت الأمة الحقيقي؟ إن الذي يصقل لنا مرآة الامل فنطالع فيها اكبر صورة للمستقبل العامر هو كثرة الايدي العاملة في ذلك الكوخ فالغلام والرجل والمرأة كلهم عاملون، وهذه هي الميزة الجوهرية التي تمتاز بها القرية على المدينة ، والكوخ على القصر. طالما نظرت الى ابناء الفلاحين فلم اجد فيهم غير المدرب المجد على الحرث والسقي والرعي او ركوب الخيل او حراسة حقل ابيه من عبث الآثمين. فما الطف ذلك الطفل العراقي حينما يقف في وسط المزرعة ، او يأوي الى ربوة في الوادي ، وفي يده نايه او ربابه يترنم بالاهازيج العراقية فينعش روحه ، وينبه القوة فيه على استمرار العمل ليرقصني بل يرقص العالم كله طربا وانتعاشا .

وجال بسفحة الوادي فهبت شقائقه كأن السفح جائل

وأمه ليست اقل اشتغالا ومساعدة منه، ومن ابيه . واذا كان هناك فرق بين المرأة الشرقية ، والغربية في الشؤون الاجتماعية فانما هو في الحضرية بنت الغرفة والمقصورة لا القروية بنت الكوخ والطنب فان هذه كاختها الغربية ولكنها اكثر منها تعبا وعناءا لانها فقدت الوسائل الحديثة الموفرة عند تلك، وهي حرّة مثلها امينة عفيفة لم يضغط عليها بسجن الحجاب، بل هي تتنعم بكل حقوقها الطبيعية في مشاركة الرجل بكل شؤون الحياة، فلا غرو اذا اصبحت تلك العائلة من اسعد العائلات الشرقية لان كل ايديها عاملة :

أهل بيتي هيهات يعمر بيت ليس فيه جمعية للحياة

بخلاف الحضريين الذين ينتحلون لهم المدنية، ويستنزفون دماء اولئك التاعبين. من اكواخهم يبنون القصور حراما وباطلا . نجد العائلة الحضرية خاملة اطفالها للأزقة، وغلمانها للترف المتجاوز الذي يجعل الشاب كانما يصوغ نفسه صياغة بديعة تعجز عنها الفتاة المستهوية، ورجالها للحانات، ومراسح البطالة، واذا طلبوا شيئا تهافتوا على مدارس الوظيفة، والمعاش المتناول ، فيجعلون آمالهم محدودة ، ويقفون عند الخطوة الاولى التي توصلهم الى الراتب الخبيث . فهم كلّ وعالة، ونساؤهم لزاوية البيت وللاساور من ذهب وفضة، نظافة في الثياب ووسخ في النفوس. حقاً ان كوخ الفلاح اطهر من غرفة المدرسة وكوة القصر. ان الجودة تتوفر في العراق بتوفر اخلاق اهله في الجد والعمل. ولا يعوز الفلاح العراقي شيء الا اصلاح نهره وانعاشه بمساعدة اقتصادية توفر عنده الآلات الحديثة ، وادوات الفن حتى يشترك العقل واليد في العمل الزراعي .

آه لو ان الفلاح العراقي التعس توسط أمة حيّة ، وشعبا حساسا اذاً لاستمطروا له كبد السماء رحمة، وشفقة ، ولملأت اعمدة جرائدهم بكل ما يبعث على الحض ، والحث، والاستنهاض، لتحصل العلاج، وبذل المقصود في تخفيف ويلاته ونشله من هوّة هذا الشقاء. ولكن الفلاح العراقي بعيد عن الامم المتأثرة ، والرهط المتألم الذي يضرب على الوتر الحساس ، ولم ينبغ فيه الشاعر، او الكاتب اللذان حصلا على ملكة الوصف والتمثيل حتى يشهرا قضية هذا الفلاح، ويحركا عواطف الراحمين، او عواصف الساخطين : هلمّ، وانظر يا من له عاطفة، وعنده قلب .

---

(1) جريدة العراق - العدد 1984 - السنة السابعة ، الجمعة 5تشرين الثاني 1926م - 28 ربيع الثاني 1345 هـ.

# - 6 -

(1)

# الكوخ وقصر الحاكم-1

اصبح ذلك الكوخ الضيق المظلم مكلفا بانهاض اربعة قصور للحاكم والملاك والتاجر و(السركال) . مرّت ادوار على الاراضي العراقية اختلفت فيها حالة الفلاح العراقي من جهة حقوق التصرف، ومقدار الضريبة. كانت الارض العراقية في صدر الاسلام تنقسم الى مملوكة، وغير مملوكة ، وتنقسم المملوكة الى الخراجية والى العشرية . فالقسمة الاولى باعتبار حقوق التصرف ، والقسمة الثانية باعتبار الضريبة ، فالخراجية هي اما الاراضي المفتوحة صلحا التي تركت في عهدة اصحابها من غير المسلمين، وضرب عليها التشريع ضريبة تسمى خراجا، واما الاراضي المفتوحة عنوة وهاجر عنها اهلها ففوضت رقبتها الى غيرهم من المسلمين .والخراج ضريبة غير محدودة وليست لها قاعدة مستقرة، ولكنها تختلف بنسبة الحاصلات نماءا وانواعا وربما تستهلك الضريبة الخراجية نصف الحاصل ، واراضي بغداد كلها تقريبا في السابق من الخراجية.

واما العشرية فهي التي فتحت حربا وقسمت بين الفاتحين وضريبة هذه الاراضي بنسبة العشر واراضي البصرة بوجه العموم من الاراضي العشرية.

اما غير المملوكة ، فهي الاراضي التي فتحت عنوة ولم توزع على الفاتحين لانها كانت مواتا، او لانها من الصفايا، او انها من الاراضي الخراجية او العشرية مات اصحابها، ولم يكن لهم وارث. فهذه الاراضي يحتفظ برقبتها لبيت المال، ويقال لهذه الاراضي -الاميرية- يستغلها بيت المال، او يقطعها لمن يشاء. هكذا كانت حالة الاراضي العراقية من جهة التصرف ، ومن جهة الضريبة ولكن دالت دول وتقادم العهد وتكاثرت الاستيلاءات وانقرضت انساب وبادت سلالات ، فلم تبق صيغة لحقوق التصرف الاولى واصبحت اراضي العراق الى قبل 62 عاما تقريبا وهي بنظر القانون اراضي غير مملوكة وكلها اراضي أميرية .

وفي سنة 1283 هجرية الموافق 1864 ميلادية سنّت الحكومة العثمانية قانونا باسم فرمان او منشور جاءت فيه بطور جديد من حقوق التصرف بالاراضي العراقية وكيفية الضريبة . فانها اولا احتفظت بكل الاراضي وجعلت رقبتها بيد السلطان ، ولكن الحكومة تحديا للصالح العام وتحريا لانعاش الخزينة والأمة بعمران تلك الاراضي اخذت تحيل حقوق التصرف، وتفوضها الى الراغبين من الأمة باعطائهم وثيقة رسمية تسمى سند طابو ضمن عهود، وقيود ، ونقاط ترمي بها الحكومة الى غرض سام وهو العمران، وانعاش حالة الفلاح. وبعض تلك

الترتيبات انما كان من الاراضي عامرا بالواحه، وسواقيه وروافده وانهاره فانها لا تحيل ولا تفوض حقوق التصرف فيه ، ولا تقطعه الا طبقا لاصول المزايدة وما كان منها مواتا، وخاليا من العمران فانها تقطعه، وتسلم به ورقة الطابو مجانا لمن يرغب في تعميره ضمن شروط وقيود. وربما تناول بعض اولئك المدعين بالتعمير مساعدات واسعافات من الخزينة. ومن جملة الاوضاع العثمانية وهي ان الحكومة تسترد ورقة الطابو وتضبط الاراضي التي يتحقق عند الحكومة عدم اقتدار اصحابها على الاعمار والزراعة ويعطى لهم من 20 او من 25 او من 30 او من 40 من حاصلات تلك الاراضي باسم الحصة العقرية .

اما الضريبة فكانت بنسبة العشر من حاصلات اراضي البصرة . واما غيرها من الاراضي، فكانت الضريبة فيها على نسبة خراج المقاسمة . فكانت حاصلات الاراضي التي تسقى مباشرة من الانهار بنسبة واحد من خمسة او ثلاثة ، او اكثر من حاصلات ذلك السقي. ومن الاراضي التي تسقى بمياه الامطار ، او بالواسطة من كرد، او ناعور ، او مضخة بنسبة واحد من عشرة، او من ست ، او من خمس ولكن الغالب في خراج المقاسمة الخمس من الاولى ، والعشر من الثانية .

---

(1)جريدة العراق - العدد 1985 - السنة السابعة - 6 تشرين الثاني 1926م - 29 ربيع الثاني 1345 هـ.

# – 7 -

(1)

# الكوخ وقصر الحاكم -2

ومن جملة الادوار التاريخية التي مرت على الاراضي العراقية هي تلك الادارة الخاصة لخزينة السلطان عبد الحميد مباشرة باسم «الاملاك السنيّة». فقد كان قسم كبير من الاراضي الوسيعة الخصبة يدار بادارة مستقلة ، وبمعرفة لجنة يرأسها مشير الفيلق ببغداد. ثم بعد خلع عبدالحميد انتقلت هذه الاراضي الى عنوان جديد باسم الاملاك المدورة ، فكانت ضريبتها تستوفى بنسبة العشر ، ويستوفى منها ايضا بقية الاقطاعات العائدة رقبتها الى سائر الملاكين واجرة الارض. . هذا وقد اصبح الفلاح العراقي رازحا تحت رضخة كبيرة باسم الضريبة بل اصبح رازحا تحت ثقل اكثر الضرائب . وما الحكومة وهذا البينان الضخم الا عالة على الفلاح العراقي ، ذلك الفلاح المكدود الذي لم ينشط بشيء من الفن، او المال، او العلم، ولا يزال فطريا هو وزراعته، وآلاته. واذا دققت الحالة العراقية ترى المموّل العراقي هو الفلاح وهو الذي ينوء بمفاتيح كنوز الأمة والحكومة فكل ضرائب الحكومة تتقاضى منه اما رأسا كضريبة الحاصلات الشتوية والصيفية ، وضريبة التمر، والفواكه، والبقول، والخضروات ، وضريبة الكودة من ماشيته، واما تتقاضى منه بالواسطة كضريبة الكمارك، والمكوس ، وضريبة الارباح التجارية، وغيرها. فكل ذلك يتعلق بالصادرات العراقية او الواردات وهي من الفلاح والى الفلاح . فالحالة المالية في العراق، والميزانية الحقيقية تابعة لحالة الفلاح العراقي برفاهه ينتشر الرفاه هنا وهناك وبارتباكه ترتبك الحالة العامة، ويشل الموقف كما هي الحالة الراهنة في العراق.

اليوم توجهت الحكومة فحورت ، ودققت ، وبذلت وقتا، وعملا وفكرا في ترتيب الضرائب على الفلاح العراقي، وتأديتها، وضبطها بدقة، وانتباه . ولم تتجه الى اصلاح ارضه، ونهره، وآلاته، وانعاشه بالمساعدات الفنية والادبية ، والمادية . وقد ثقلت الحالة على الفلاح العراقي واستنفدت ما في بيته من اثاث وفي بدنه من دم ، وكل ما في ذمته من قوة اعتيادية. فالفلاح العراقي اليوم كالمطر من ورا ء زجاج او كالحنطة تراه صورة ماثلة ولكن ليس فيها شيء من الحياة والقوة وقد اثقلت كاهله ضريبة الحاصلات الزراعية . ولا يوجد ثقل كبير في نسبة تلك الضريبة ، ولكن الثقل في طريقة تقديرها ومعرفتها، اما نسبتها فانها في الغالب تكون من الحاصلات الشتوية ، والصيفية بوجه عام من الاراضي العراقية كافة بمعدل 17 من النسبة المئوية فانها 30 بالمئة من حاصلات الاراضي الاميرية التي تسقى مباشرة ، او سيحا من الانهار 20 للحصة الاميرية، و 10 اجرة الارض، وتكون

20 بالمئة من حاصلات الاراضي التي تسقى سيحا من الانهار، ولكنها مفوضة، ومملوكة الى اشخاص وتكون 10 بالمئة من حاصلات الاراضي التي تسقى بالواسطة سواء كانت الاراضي للحكومة او للاشخاص.

واني لا اعرف معنى لاجرة الارض التي تتقاضاها الحكومة من الفلاح في الاراضي الاميرية فما معنى حكومة وملاكة معا؟ ولا اعرف صالحا للشعب الذي تمثله الحكومة الشعبية، واظن ان الحكومة ادركت ذلك ، وها هي تفكر اليوم في وضع نظام لتوزيع الاراضي الاميرية على الفلاح العراقي.

اعود فاقول ليس في نسبة الضريبة ثقل مهم، ولكن الثقل في تقيرها ، واستخراجها.

ولا يزال التقدير في العراق يرد من طرق ثلاث - التخمين- الذرعة – والمقطوعي.

يجري التخمين في الحاصلات الشتوية المتجمعة في البيادر، ويجري المسح، والذرعة في الواح الشلب الا في لواء العمارة فالمعاملة هناك على المقطوعي، والمقياس الوحيد في جميع الاراضي الزراعية في العراق هو " المشارة" وهي 2500 متر مربع ، وقد دلت التجارب ، والتدقيقات التي اجرتها الحكومة في اعوام كثيرة على ان معدل الحاصلات في المشارة :

300 كيلو من الحنطة

400 كيلو من الشعير

550 كيلو من الشلب

وقد ظهرت عدة اضرار على الخزينة ، وعلى الفلاح من طريقة التخمين، وطريقة الذرعة ، وربما اقتنعت الحكومة ان طريقة المقطوعي هي اقرب الطرق الى مصلحة الخزينة .

---

(1)جريدة العراق - العدد 1986 - السنة السابعة - 8 تشرين الثاني 1926م - 2 جمادي الأولى 1345 هـ .

# - 8 -

(1)

# كوخ الفلاح وقصر السركال

كل من تجول في ضواحي الفرات ، ودجلة يرى قصر السركال[2] الشامخ، والى جنبه كوخ الفلاح. يرى ذلك الرجل المترف المنغمس في البذخ الممتلئ بالزهو، والخيلاء، المنهمك بالتبذير والاسراف المستهتر باللهو، والالاعيب «يرى عنزا في مفازة» ، والى جانبه ذلك البائس المكدود الذي خلق من طين الارض، وحديد الفأس، والمنجل ينبت الارض سنابل من ذهب، ولا يحصل منها على اكثر من خبز (الدنان)، وجريش الأذرة، وثوبا من الخام (كامتي) ، ذلك العامل الذي تفطرت كبده كما تفطرت كفاه، وقدماه، ذو الثفنات الذي يتصارع مع الطبيعة في حمّارة الغيظ وصبّارة البرد هذا هو الفلاح وذاك هو السركال.

سقطت عروش الملاك على يد العامل الاوروبي النشيط ولم ينجها منه الحديد ولا النار ، ولكن لم تصل يد الفلاح البائس الى عرش ذلك الجبار. ارتفع من كل الارض الحكم الاقطاعي في القرن العشرين ولكن لا تزال روحيات اقطاعية. فانك ولا شك اذا حللت روحيات السركلة في العراق تجدها حكومات اقطاعية ، وسلطات شخصية مبثوثة في ذلك الحوض الزراعي الطويل العريض ، والحجر الاساسي لنفوذ هؤلاء السراكيل ، وسلطانهم على ذلك الفلاح هو:

1 . النظام العشائري الذي يجب ان يتلاشى، ويموت، ويستبدل بنظام الحكومة الديمقراطي .

2 .ان الاراضي العراقية سواء كانت تحت تصرف الحكومة او المفوضين من قبلها (ملاكة) لما كانت واسعة وجسيمة وكان الذين يزرعون فيها يعيشون عيشة العشائر، والبداوة، ولم يكن النظام المدني شاملا، ولا الوسائل والوسائط النقلية مبثوثة ومتيسرة ، لم يكن بالامكان زراعة تلك الاراضي وادارتها مباشرة من افراد المزارعين والفلاحين فاضطرت الحال الى اختراع اولئك الرؤساء المنعوتين بالسراكيل لزرع الاراضي . استمر دوام الحال الى الآن وفي زمن وهن الحكومة التركية نهض الفلاح في الفرات ، وفي المنتفك وضعضع، بل شل ، عرش السركال الكبير. ونشأت في العراق المسألة المعروفة بمسألة الافراد ، فتقاسم الفلاح نفوذ السركال وحرر نفسه وارضه من طغمة ذلك السركال الكبير وسقط الحكم الاقطاعي المعنوي، ونشأ مكانه روح جمهوري شعبي. ولكن رسخ ذلك الغرس الجديد في المنتفك ، ولم يرسخ في الفرات، بل عاد السركال الكبير في الفرات الى تنمّره ، وتجبره، ولا يزال السراكيل الكبار مبثوثين في العراق كل واحد منهم أمة برأسه خصوصا في دجلة العمارة ،و ودجلة الكوت ، والفرات الاوسط . وهذا السركال الكبير ، وان كان يجد نفسه مالكا للفلاح ولارضه ولحاصلاته ولكنه

يتعاطى معه حسب اصول ثابتة لا تتغير في الغالب ، وان تطورت الحال وتغيرت . فبعضهم يقسم معه الحاصلات المجمعة في البيادر اثلاثا يأخذ السركال ثلثين ، وعليه الملاكية ، وحصة الحكومة ، والفلاح ثلثا، وعليه البذر والكري ، وحقوق الصوباشي ،والقهوجي، والكتابية ، والبراطيل، وغير ذلك. وبعضهم يقسم اخماسا فيأخذ السركال ثلاثة اخماس، والفلاح خمسين . وبعضهم يقسم بالمناصفة ، واذا لطفت الحكومة بحالة الفلاح فاسقطت له شيئا من حقها فان ذلك لا يكون من نصيب الفلاح، بل يبقى على حاله الاول لم يتزحزح عنه ولا قليلا، إذ يأخذه السركال غنيمة باردة . ففي الشامية انقصت الحكومة الاحتلالية اولا، ثم تبعتها الحكومة العراقية من بعدها الحصة الاميرية التي كانت تؤخذ من حاصلات الشلب زمن الحكومة العثمانية فقد كانت حينذاك بنسبة 46 بالمئة والان هي بنسبة 3 بالمئة. ولكن اصول تقسيم الحاصلات بين الفلاح والسركال لم تتبدل قط ففي هذه الضائقة المالية في العراق قد يصيب السركال الكبير عشرات الالوف من الربيات بل المئات على حين لا يصيب الفلاح وعائلته اكثر من 200 ربية طيلة السنة.

---

(1) جريدة العراق - العدد 1987 - السنة السابعة - 9 تشرين الثاني 1926م - 3 جمادي الأولى 1345 هـ .

(2) السركال هو من ينوب عن الشيخ في إدارة الارض والتصرف بها. (المحقق)

# - 9 -

(1)

# قصر الملّاك وكوخ الفلاح

ذكرنا لك سابقا ان من جملة الادوار التاريخية التي مرّت على التصرّف في الاراضي العراقية، وقد افرغ بصيغة شرعية وصورة قانونية، هو تنظيم الوثائق المعروفة بسندات الطابو ، وذلك بموجب التعليمات المحتوية على 18 مادة في الفرمان، او المنشور الوارد في عهد مدحت باشا في العراق وقد نوهنا عنه سابقا، وعرفت انه بموجبه فوضت جملة ليست هينة من الاراضي العامرة ببدل زهيد طبقا لاصول المزايدة الرسمية المزعومة كما انها فوضت جملة من الاراضي الغامرة مجانا . ولكل من يعرف الموظف التركي، ويعرف تلك الحكومة يعرف تماما كيف جرى تفويض وبيع الفلاح العراقي لا بيع الارض العراقية. ولا شك ان هذه الفرصة قد مكنت جماعة من الطغمة المتزلفين دائما الى الامراء ومن بيدهم السلطة المترددين على دواوين الحكومة ان يحصلوا على قصاصة ورق بواسطتها يمتلكون قطعا واسعة من الارض الزراعية وفي الحقيقة انهم يمتلكون حصة وافرة من كد ذلك الفلاح، وعرق جبينه لا بازاء ثمن مادي ، او ادبي بل سحتا ومجانا. تقرأ كثيرا من المجون في تاريخ العباسيين، او التلاعب بالأمة ، ومدخراتها، ان الامير الفلاني اقطع فلانا الاقطاعية لنكتة في مجلس، او فكاهة مجنونة اعجبت الامير، واضحكته ، فتحركت اريحيته، فاقطع وملّك. بهذه الروح اقطع الولاة الترك والموظفون منهم كثيرا من تلك الارضين التي يعتقدون اليوم انها فوضت بثمن ، وقطعت بعقود قانونية شرعية. وللسعايات ، والتزلفات الاثر البالغ في تلك الاوراق الرسمية فالشروط ملغاة والثمن مجمول، والحدود لا تتفق مع تقدير المساحة ، والغرض فيها مقلوب ومعكوس فان الغرض الاسمى من تشريع الطابو في الاراضي الزراعية هي ان تعمر تلك الاراضي، وتكسب حالة انفع، واثمر للبلاد، ولكن تلك الاوراق لم تأت في الغالب الا بالخراب واضمحلال الزراع والزراعة لان ذلك الملاك يغطس في قصره المشاد في بغداد، او في البصرة لا يخرج رأسه من كوّة ذلك القصر الا في وقت الحاصل فيتزلف الى الحكومة ويتسلح بنفوذها فيشاطر الفلاح في ريع ارضه ، ولا يشاطره بشيء من اتعابه وتضرراته .

## قصر التاجر وكوخ الفلاح

من جملة التشريع الاقتصادي في الشريعة الاسلامية المسائل الربوية، وتحريمها. ولكن ربما خفي المقصد السامي ، والغرض الاعلى من ذلك التشريع على جماعة ممن يتعاطى الاقتصاد ، ويدرس المسائل الاقتصادية فيرى ان افضل التعاون،

واحسن الطرق لانعاش السوق الاقتصادي وتنمية الربح فيه هي المصارف الزراعية ، والتجارية، ومعاملات البنوك، وهذه في نظر التشريع الاسلامي محرّمة لان اكثر معاملاتها ربوية فكأن هذا الحكم الاسلامي يؤثر عطلا في السوق التجاري، وشللا في معاملاته. ولكن من عرف ان الدين هو مجموعة من اخلاق فاضلة مبثوثة في التشريع ووعظ وارشاد ونصائح، وان الدين الاسلامي يمثل الاخلاق العربية دون غيرها فيجب عليه ان يدرس المسألة الربوية عند العرب حتى يعرف الغرض الاسمى من ذلك التشريع. فلندرس هذه المعاملة المجحفة عند العرب ، وكيف كانوا يتعاطون بها لنعرف نقطة النظر الاقتصادي في ذلك التحريم.
كان العرب وكان التعامل الربوي ما بينهم على النسبة الهندسية في الاعداد ، لا على النسبة الحسابية فكان الدينار بدينارين فالاثنان باربعة، متجانبة، و 8 بـ 16 و 16 بـ32 وهكذا حتى يصبح الواحد بمئة في عدة اشهر لان الاجل في تلك المعاملة لم يكن اكثر من شهر مثلا فكان الدينار يربو وينمو في الذمة حتى يصبح بعد عدة اشهر مئة دينار، فأي تشريع لا يحرم هذا الربى الفاحش؟ وهكذا هي معاملة التاجر العراقي اليوم مع الفلاح في المعاملات السلفية او كما يسمونه (اخضر) حتى اصبحت اكثر الثروة العراقية ثروة ارقامية لا وجود لها الا في الدفاتر لان الفلاح العراقي لا يملك الا قطعة ارض اذا خصبت وتصاعدت فئات حاصلاتها لا تساوي اكثر من مئتي ربية عليها نفقاته السنوية ، وعليها ارقام للتجارة فأما تنبت. أ رض ذلك الفلاح ليستعين بها في تسديد بعض ما عليه من ربيات واما ان تبقى تلك الارقام لدفتر يوم الحساب وهي كل يوم تصبح بتضخم ، وجسامة جديدة. واليوم توجد عند التجار العراقيين معاملة جديدة مع ذلك الفلاح المسكين يظنون انها بيع الصرف المشروع ، وليست هي من بيع الصرف في شيء وهي ان الفلاح المضطر يراجع التاجر في حاجة فيقول له عندي ليرة ، وانا لا اعطيها ، وان يكون صرفها 25 او 30 ربية في ذمتك، وهكذا تجري هذه المعاملات الربوية الفاحشة المتلفة لذلك المكدود الذي يكون اضيق اوقاته عليه، واكبرها مصيبة وقت ربيعه، وحاصلاته وكثيرا ما رأيته يفتش عن سلفة واستقراض وحاصل ارض بعد في البيدر لم يتوزع . افلا تكون هذه المعاملات سحتا وفوق السحت؟ وهذه هي الروح الربوية التي حرّما التشريع الاسلامي لا المصارف الزراعية والتجارية التي تنعش البلاد والعباد وما اكبر الخدمة لو سعت الحكومة لتأسيس مصرف زراعي في العراق يكون مخلصا للفلاح العراقي ومحققا لويلاته وهيهات ان تتحسن حالة الفلاح العراقي بدون ان تقوم الحكومة بعدة امور .

---

(1)جريدة العراق - العدد 1988 - السنة السابعة - 10 تشرين الثاني 1926م - 4 جمادى الأولى 1345 هـ .

# – 10 -

(1)

# الاصلاح -1-

1 .توزيع الاراضي الاميرية على الفلاحين توزيعا ينعش الفلاح، ويكون بمثابة رأس مال اعتيادي لمعاملاته مع المصرف الزراعي ، ولا شك يكون ذلك التوزيع امتع واثمر للبلاد، وللفلاح فلا تكون اجرة ارض على الفلاح ، وتتحاشى الحكومة بان تجدد مصارف الفلاح بتوزيع الاراضي على السركال ، او على الاشخاص الذين يحوزون صفة ملاكين فقط.

2 .تحسين طريقة الجباية للضريبة الزراعية ، ولعل احسن الطرق الطريقة المعروفة بالمقطوعي.

3 .تأسيس مصرف زراعي.

4.ايجاد قانون ثابت ، وقاعدة راسخة في كيفية حقوق التصرف فان فيها تشويشا كبيرا ناشئا من معاملات السراكيل، والملاكين، والحكومة.

5. ايجاد قانون يخفف مسألة السركلة، ويحددها.

6. قيام الملاكين والحكومة بتأسيسات كبرى ومنشآت هامة للفلاح من انشاء سدود ، وافتراع جداول ، وشق انهار ، وجلب اسمدة وبعض اعمال هندسية زراعية، واقامة مستشفيات وكتاتيب في قرى الفلاح ، وتحديد الارض المملوكة تحديدا ، ومسحا حقيقيا، وتحديد حصة مضروبة للملاك.

ان الاصلاح هو الضالة المنشودة ، والمثل الاعلى الذي تتحراه الانبياء، وتتحراه الفلاسفة منذ الازل البعيد. وروح الاصلاح واحد لا يتغير عند الانبياء، وعند الفلاسفة هو تبديد قوى الاستبداد المتألبة على ذلك البشر الكادح الظلمة، وانعاش معنويته بتعمير قلبه وتنوير عقله فالغاية واحدة في نظر النبي والفيلسوف ولكن الاختلاف في المبدأ والوسيلة، فالانبياء تحاول اصلاح المجموع باصلاح الفرد تتناول ذلك الفرد فتهدم قلبه القديم المملوء بالشكوك والجحود ، والاوهام، والخيالات وتبني له قلبا جديدا عامرا بالايمان ومملوءا بالاحلام الذهبية، والآمال البيض ينقلب القلب، ويتغير فينقلب الفرد ويتغير، فينقلب المجموع ويتغير لان الفرد اساس المجموع .

اما الفلاسفة فتحاول اصلاح الفرد باصلاح المجموع فهي تتناول الوسط، والاجتماع قبل ان تتناول الفرد . وكلتا الوسيلتين ناجحتين ولكن وسيلة الايمان ارفق بالانسان والطف بحاله من وسيلة الاجتماع . وعلى كل حال فان النقاط الاصلاحية لحالة الفلاح العراقي التي المحنا اليها ضمن المواد السابقة شملت المبدأين ، وتوسلت بالوسيلتين . وتوجد مسائل اصلاحية كبرى لو تعاطى بها العراقيون، وتدبروها لاصبح بيت الأمة عامرا ناهضا على اسس متينة ، وقوية لا تجرف ، ولا تنهار كمسألة المرأة، ومسألة اللغة، ومسألة الامية ، والتعليم الابتدائي او التعليم البسيط .

## المرأة

ان ذلك الجنس المحبوب الذي يعمل بكل لياقة، ولطف على رفاهنا هو الذي رشحنا للاجتماع، وصيّرنا من اعضائه الكاملة. قوّمنا، ولكن بأغلى ثمن ، وأغلى بذل بالكبد، وسواد العين. فالمرأة محترمة انى كانت لانها الام العامة ليس كل ما في صدرها الخاشع هو غذاؤنا الطبيعي في اول دور للحياة، كلا فان تلك اللوحة المفعمة شفقة، وحنانا غذاء ارواحنا في كل ادوار الحياة طالما سكبت في نفوسنا الحزينة فنون السلوى ، والتلطيف.

ان ذلك الابيض السائل الذي يدر ويتدفق بالحنو، والعطف هو اول برهان على بذل كبدها بإزاء مصلحتنا فهي النسيم الثاني للحياة ولكنه اطهر، وانقى من هذا الذي ربما انقلب سموما زعافا خاليا من كل عذوبة .فهلا لطفنا في معالتها واقضناها كبدا على كبد وتركناها تعيش كما تريد شريكة للروح ، ونافذة بلطفها الى القلب ؟ هيهات، ان الرجل العراقي اقسى من ذلك بكثير كان رقيقا مرنا يوم كان على صدرها او بين يديها فلما اشتد انقلب حجارة لرضخها بكل قوة وغلظة .

المرأة في البيت العراقي تعيش البؤس، والشقاء، ولكنها في الكوخ اشد ويلا وشقاءا. واذا اتفق لها ان تعيش سعيدة فانما تكون سعادتها ثقيلة . وفي جهنم التعاسة تتساقط عليها لعنات الساخطين ، ويتحكم عليها الرجل اكثر من الطفل فهي آلة مسرعة خفيفة بسيرها العنيف ولا يوقفها الا انتهاك القوي، ونفاذ مادة الحركة فتسقط في ليلها المحزن هامدة جامدة ملء نفسها المظلمة انتقام وانتقاد على النهار واهل النهار. يتأثر الرجل العراقي لكسر اصغر آنية زجاجية في بيته ويجزع لغيض السائل الذي في تلك الآنية ولكن يسهل عليه كثيرا كسر قلب المرأة الرقيق، وفيض عينها بالدموع تلك العين المغرورقة دائما.

المرأة العراقية في الاغلب مجردة من كل الحقوق ليست الاجتماعية فقط بل البيتية، والمعاشية. يتنزه الرجل القروي حتى ذكرها فتراه اذا تكلم، وذكر امرأة طهر كلامه بعبارات التنزيه ، والتكريم ، واغلب ما تكون هذه العادة في بلاد المنتفك. مسكينة المرأة العراقية مستحقرة من يومها الاول. فما اخيب الوالدة اذا قالت القابلة انثى وليس الذكر كالأنثى.

---

(1) جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 1989 - 11 تشرين الثاني 1926م - 5 جمادى الأولى 1345 هـ .

# – 11-
# الاصلاح -2

(1)

السواد العراقي يعتبر المرأة كفّارة لكل مساءة تقع بين الرجال .فالترضية الوحيدة تقديم امرأة، او اكثر. واذا اختصمت قبيلة مع اخرى ثم ركنتا الى الوئام والرفاه فثمن صداقتهم الجديدة يتراوح بين العشر فما دون من النساء المقهورة التي تقدم مجانا. وما اعظم تعاسة تلك النسوة التي تؤخذ دية للمقتول أوترضية للساخط .ليس بين القرينين رغبة ، ولا ميل سوى انها عوض عن مهانته، او دم أخيه . هذا شأنها في البيت الجديد ، اما في البيت القديم ، فهي كبقية اثاث البيت تركة تقتسم بين الاخوين قسمة عادلة اذا كانت الاخوات متعددات، واذا كانت واحدة يعوض احدهما عليها الاخر، ويجرون فيما بينهم مزايدة، واذا ارادوا تزويجها، فليس لها من مهرها الا الشيء الطفيف ويكون الباقي لابيها، واخوتها كثمن عن سلعتهم التي بيعت على بيت الزوج. هذا شأن المرأة غالبا في العراق، وحياتها المكدودة، وهي تقابل كل ذلك بالرقة، والرحمة، ولا ينصرها الا الدمع والحسرات.

والمرأة القروية في العراق اقوم من اختها الحضرية على شؤونها واكبر تعاسة وشقاءفي بيتها . ولا زالت تشارك الرجال في ممارسة شؤون الحياة وتتعاطى معهم الوظائف البسيطة كالسقي، والرعي، والزرع. وحضانتها حضانة طبيعية بسيطة في منتهى التسامح لا يهمها من شؤون طفلها إلا ما يهم سائر الحيوانات المطفلة: در اللبن وتغذيته بكل ما صادف، وهو مع ذلك التسامح ينشأ نشأة حسنة يأخذ من الصحة اكثر من غيره من الاطفال المعوذين المخدومين، وفي الاغلب تنجح الآمال التي تعقدها على ذلك الطفل، وترشحه لها. ولكنها كاختها الحضرية ، وهامة، وضعيفة الاعتقاد يستهويها اللون الازرق، وتنخدع لكل خيال، وتتعلق باذيال المتطيرين، والمتفاءلين.

## الزواج

ان الانقلاب في النظام اذا لم يكن آتيا عن استعداد واقتدار في اهله وذويه لا بد وان يسقط ويتلاشى ، وينقلب نفعه ضررا لانه لم تقو عليه بعد معدة المجموع فهي لا تستطيع هضم ذلك الجديد . وهذا هو السر الذي كثر ويلات الزواج فينا وصيره مفرقا اكثر منه موفقا، بعيدا عن التضامن والراحة والاطمئنان .

ان الزواج هو عبارة عن انسحاب الشاب عن مملكة ابوية وترشحه لانشاء مملكة جديدة . وهذه المملكة الشابة تخالف الاولى في الذوق والميل غالبا فيجب ان تكون

الفتاة مجموعة استعدادات، وتعاليم ، وأحلام بيض للحياة الجديدة ، التي تحتم عليها ان تعرف كيف تكون زوجة واما وربة بيت. ولكن مع الاسف ليس الزواج عند العراقيين مؤسسا على الاقتدار من الاختلاط والاقتران وبلوغ الحلم فالام لا تنظر الى استعداد فتاتها، والاب لا يلاحظ مقدرة ولده والكل منهما يعد السنين ، وينتظر دور الشباب ، وكم جلب ذلك فوادح، واسقاما اجتماعية ذهبت بالالوف من الشبيبة تلفا، وشياعا طعمة للفقر ، وعدم التناسب ، او سوء المعشر ، او التكلف الثقيل . يهتم العراقيون كثيرا في لقاح النخيل، والتناسب بين الواطئ، والموطوء، ولا يبذلون بعض ذلك الاهتمام في الزواج. وبدلا عن ذلك يهتم العراقي في زواجه بكثير من الامور العرضية التي لا مساس لها في البيت، ولا في الحياة البيتية فينتخب الشاب اقرب النساء اليه لحمة ونسبا ولا ينتخب اقربها اخلاقا.

على ان الاثر الوارد عن نبينا يمنع ذلك فانه يقول : باعدوا ولا تقاربوا . والسبب في ذلك ضعف النسل، وعاهات كثيرة . وكل عناية العراقي في اقتناء الزوجة هي ان تذهب امه مع لفيف من صويحباتها فتعود الى ولدها بقصيدة من الشعر المنثور غزلا باردا، وتشببا في الصورة المصنوعة لذلك المعرض الخصوصي ، وتستهوي ذلك المخدوع بكل ما تقدر على صياغته من الاسلوب الجذاب، وفي الغالب يكون نقلها بعيدا عن الامانة ناشئا عن ميل ، وانحياز لا عرفت اخلاق الفتاة، ولا الاوصاف تؤهلها لان تكون زوجة فأما فربة بيت .

الزواج روحياته اكثر من مادياته فهو فيض عواطف ، وامتزاج احساسات، ومشاعر روحية غرامية، ومن ذلك نرى المرأة حتى المهذبة تعمل وتحتال، دائما وفي كل عمرها على استراق قلب الرجل، وامتلاكه . وكل من لم ينل رجاءها، ويقصر شوطها عن تلك الغاية تسقط من منصة السعادة، ويمتلئ قلبها ظلمة، وشقاء، وبؤسا. اذاً فالمحبة بين القرينين ، والتناسب اساس الالتذاذ بالحياة والراحة ، ورغدة العيش بسكون، وهدوء عيشة الغرام الناجح، والحب المحظوظ ، وهذه الروحيات مفقودة ، ومنبوذة عند العراقيين.

والحياة الزوجية عندهم غالبا نزاع مستمر ، وخصام لا يعرف المتاركة، ولا الهدنة. ترى الرجل منهم يتنصل عن تلك المحبة كما يتنصل عن الرحمة لانه يضع نفسه في محل مقدس عال لا تلوث طهارته في الاشتراك، مع المرأة بالمعشر ، وتبادل الحب. فعيشة تلك البائسة عندهم عيشة كسر، وانصداع، وعجز هضم ، وتنقيص. وكيف تفلح امرأة عند رجل اخذها عوضا عن قتل اخيه ثمنا لمساءة لحقت به وما ضارع ذلك من التعلات التي تبعث على الحنق ، والحيف عند الجاهلين.

واذا تناول الاصلاح بيت الأمة فلا بد ان يتناول شؤونا كثيرة .وانا من القائلين بتعميم تعليم المرأة ولكن ضمن دائرة محدودة فاني اظن على ذلك الجنس اللطيف ان يوجد في المعادن، او في المعامل، او المراكز السياسية المنهكة. ولكن يجب ان تتعلم القراءة ، والكتابة والآداب، وتحذق الفنون البديعة كالشعر والتصوير وتدرس النظام البيتي ومنه التربية العائلية، ومقدار من علم الطب ليتعلق بطب البيت من الاحوال التي تطرأ على مزاجها من الطمث والحبل والولادة وما يعرض لطفلها.

اما مسألة الحجاب والسفور فلا شك اني من الذاهبين الى السفور المحتشم ذلك السفور الذي كان شائعا عند العرب حتى عند عليتهم لان الحجاب اكبر اعتراف على نقص المرأة والرجل معا، واتهام اخلاقهما ولا اقول بالابتذال، والتخلع كما هو مشاهد اليوم من الترجل في بعض البلاد العربية.

---

(1) جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 199 - 12 تشرين الثاني 1926م - 6 جمادى الأولى 1345 هـ .

# طبقات الأمة

من بيت الأمة الى طبقاتها دلف الشيخ الشرقي يعرض آخر ما جسدت هذه الطبقات من صور في الحياة ، ومن نماذج في العادات ومن الوان في اوصاف الطباع ومن طرائق اعتاد أبناء هذه الطبقات من اتخاذها اساليب في التعامل فيما بينهم، وسبلا في تحديد ابعاد تجاربهم الذاتية. بهذه المنطلقات صورت طبقات الأمة لدى الكاتب الشيخ الشرقي، وبهذه الابعاد حددت طرق تناول الحديث عنها باسلوب يجمع اليه المعالجة الموضوعية البناءة ، وطرافة عرض الصور الاجتماعية المراد ايضاحها ، وتقديم الافكار عنها بما يتطلب عنصر البحث الاجتماعي، ودراسة الحالة النفسية التي عليها تلك الطبقة، وما اتسمت به من خصائص وسمات عكستها تجربة الماضي من خلال المعايشة الفعلية لاحداث هذه الصور ومن خلال عرض الادلة والامثلة والاستشهاد .

وقد رغب الشرقي عرض البصمات الحية النابضة لتلك الطبقات وصولا الى ما يطمح به الباحث الاجتماعي من تزويد القارئ بآفاق جديدة من الصور الاجتماعية، ورؤى لأحداث تاريخيه بعيدة وقريبة ليتوقف به عند الحاضر وما عليه من خصائص واوصاف .

اعتمد الشيخ الشرقي جريدة العراق سبيله الى نشر مقالات طبقاته فقد شملت بتسلسل مستمر (11) احدى عشرة مقالة بدأت بعدد 2018 السنة السابعة بتاريخ 15 كانون الاول 1926 من الموافق 9 جمادى الاولى 1345 هجرية، وانتهت بعدد (2030) بتاريخ 29 كانون الاول 1936 م الموافق 31 جمادى الاولى 1345 هجرية .

**المحقق**

**موسى ابراهيم الكرباسي**

# - 1 -

(1)

# طبقات الأمة

اطلع القارئ على تجدد الأمة في بيتها، وها نحن نطلعه على تجددها في طبقاتها . ان نظام العالم في حياته العامة يتردد بين نقطتين اساسيتين هما الفردية، والاجتماعية . فالنظام القديم اساسه الفرد كما يظهر ذلك في النظام الديني. فان الدين من الفرد الى الفرد اي يقوم الوازع الديني وهو فرد مقدس فيتناول الفرد ليصلح به الاجتماع ، ولا يتناول الاجتماع ليصلح به الفرد . وكما يظهر ذلك في النظام السياسي فانه لا وجود في عالم السياسة لغير الملك والامير، او الزعيم حتى صار شعار مجموع الأمة (ما نحن والدخول بين السلاطين) . وكل ما يقوم به الجند او الوزراء او الهيأة الحاكمة او الأمة باجمعها ينسب الى الملك، او الى الامير ، او الى الزعيم. وهكذا في التجارة فالذكر ، والاهمية للتاجر لا العامل، ولا وجود للفلاح في الزراعة، وانما الوجود للملاك او السركال .

والنظام الجديد اساسه الاجتماع وكل شيء عنده اجتماعي. فالحكومة ديمقراطية شعبية تقوم بالاحزاب والنواب ، والتجارة تقوم بالشركات، والعمل والصناعة بالنقابات والجمعيات. وللامة نواد ومعاهد . واساس الزعامة والرياسة اجتماعي ينال بالانتخاب والترشيح لا روح فردية مستمدة من السلطةوالاستئثار . بل اني لا اتصور فردية في الحياة للانسان ، وكل فرد في شؤونه الاجتماعية هو بنيان قوم. ولا شخص الا وتجمعت فيه ارواح جماعات . فهو يعيش بجمعية ارواح فلا فردية حقيقية للانسان الا اوان مماته.

ولا شك ان العراق كان قائما على اساس الفردية ، ولكن يقال اخيرا انه تجدد وانتقل الى الحالة الاجتماعية . اذا فلندرس هل في العراق شعب ديمقراطي ذو طبقات متكافئة كما يقولون ام ان ذلك امر رسمي فقط. واحسن موضوع لهذا الدرس هو طبقات الأمة ، وهيآتها الاجتماعية، ولكننا نمهد لذلك البحث بأمور :

اولا : ذكر شيءعن الفوضى العراقية

ثانيا : ذكر شيء عن اختلاط الطبقات العراقية اختلاطا يصعب معه التمييز والتنويع. ثم نجاري الحالة حتى ترسخ قليلا قليلا، وتتمايز طبقاتها. حينئذ ندرس الطبقات العراقية كل طبقة على حدة ونعرف مقدار التجدد في تلك الطبقات .

ثالثا : ذكر بعض جهات اجتماعية كالنوداي والاحزاب ، والجمعيات والمعاهد ،

والشركات والنقابات .

## الفوضى في العراق

ربما طال عمر الفوضى في العراق الى اكثر من قرن. فقد كان العراق، وبالخصوص عراق البصرة والكوفة لا عراق بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة يدار بنظام العشائر. وكانت الناس تتعاطى باالعرف العشائري، والحالة راكدة مطمئنة . ولكن جاءت الحكومة العثمانية فضعضعت تلك الحالة وحاولت ان تبدلها بنظام مدني قانوني تديره الحكومة لا العشاير، فاتصلت الزعازع الى القرن الرابع عشر، وتغلبت الحكومة في الجملة، وهدمت مشيخة خزاعة في الفرات الاوسط، وكان مركزها الديوانية ، ومشيخة المنتفك في الفرات الاسفل، والغراف، وكان مركزها البصرة ، وسوق الشيوخ ومشيخة (طي) بني لام في دجلة البصرة، وكان مركزها حيال العمارة، وامارة الجزائر في البطائح ، وامارة ربيعة في دجلة بغداد حيال الكوت، ومشيخة زبيد بين فرات الحلة ودجلة بغداد، وكان مركزها حيال الحلة السيفية، وغير ذلك من المشيخات في العراق. ولكن بقي النظام يتعثر في العراق طيلة العهد التركي تروح خطة وتجييء اخرى ، ويجرب مشروع بعد مشروع، وقد فشلت كلها على وجه الاجمال حتى صارت الخطط العامة مثل المأمورين تختار، وتختبر فتعزل . كل ذلك لانها غير ملائمة للروح والجوهر . فكانت عصا البدوي ، وكلمته الصلبة تنفع العراقيين اكثر مما تنفعهم تلك الحركة القرطاسية في الدوائر والاوراق المرفرفة بايدي الكتاب كل ما فيها تقرير وتحرير ولا شيء منه في الخارج. وان نادي رئيس واحد من اندية العراق يحسم يوميا من الامور ، ويلخص من القضايا ما لم تكن تفعله دوائر قضاء من الاقضية.

وفي العقد الثاني من القرن الرابع عشر للهجرة، وهنت الحكومة العثمانية، وولت ايامها وابتدأت الفوضى في العراق فكانت اولا فوضى حربية اتت على القائم، والحصيد ثم فوضى سياسية ثم فوضى ادبية، وهذه الاخيرة هي الحالة الراهنة . شلت الفوضى الحربية والتمرد على العثمانيين في عراق البصرة والكوفة الحياة فكانت القلاقل في كربلاء، والنجف والسماوة، وحوالي الناصرية، وفي سوق الشيوخ ، والشطرة والعمارة، والبصرة نفسها منتشرة في كل تلك الدلتا ، وعلى الضفاف . وكان للعراق حال حربي مزعج ومخيف. عراك لا يعرف الهدنة ، ونزاع مستديم. وقد تأثرت حتى اللهجة والاناشيد فكانت تظهر عليها الصبغة الحربية . وفي كل قرية قلاع استحكامات . شعب مستهلك يلتهم بعضه بعضا ثقيل الوطأة حديد البأس لكن على جنسه ، وابناء جلدته. ما افظع ذلك المنظر الذي كان ينجلي في اغلب الايام عن ضحاياه من ابناء الأمة. و لقد كانت تترقرق الرحمة في عيني، ويفور الحنان وراء ترائبي عندما كنت انظر الى رماد مئات من البيوت، وارى المئات من الايامى البائسات في اثر كل حرب، وعقب كل فتنة . وطالما تغلب التأثر والخشوع عليّ حينما كنت انظر الى كل شاب عراقي، وقد صف فوق

صدره، وعلى اضلاعه نضائد من الاصفر اللماع . تلك الخراطيش التي حملها للفتك بأخيه القريب. وقد اصبح كل رجل عراقي مسلحا في كل اوقاته غالبا حتى في اوقات النوم حيث لا وازع ولا رادع الا السلاح . اما زعماؤهم فليسوا ممن هيئوا للاصلاح والتدبير بل رجال اشداء ولدتهم الحوادث، وشهرتهم الوقائع فالاضطراب اساس زعامتهم. واصبح الشعب العراقي لفرط الانشقاق يؤسس مئات من الجماعات القومية . وهكذا كان الشعب العراقي شديد الشكيمة، ذا نخوة وعزم ، يولد الحوادث توليدا ، ويبلو فيها البلاء الحسن . ودامت هذه الفوضى الحربية الى مبدأ الاستقلال . ولى زمن الاحتلال، وقد درس الانكليز حالة العراق يومئذ على بعد وتجهزوا لها بسلاحين : سلاح الحرب والنار على الحكومة العثمانية خاصة، وسلاح التساهل السياسي .

وبما ان الحالة الحربية ، وتلك الظروف تخص الجانب الاعظم ، وهم الطوائف والعشائر في العراق، كان الميل الانكليزي وانعطافه اليهم دون سواهم لانهم العضو العامل في العراق والجمهور المسلح ، ونفوذهم اكبر من كل نفوذ . وكنت ترى في وجه الجندي الانكليزي صدفة واعراضا عن ابن الحواضر والمدن وان كان نابها، واقبالا على ابن الارياف والشواطي وان كان خاملا ، ودامت تلك الفوضى الحربية الى ما بعد الهدنة بقليل.

---

(1) جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2018 - 15 كانون الاول 1926م - 9 جمادى الاخرى 1345 هـ .

# الفوضى السياسية

(1)

مر على الانكليز دوران خطيران في العراق : الدور العسكري والدور الملكي، اختلفت حالة العراقيين خلالهما اختلافا كبيرا. وقد كان الدور العسكري اخف وطأة على الجمهور العراقي الذي كان منهمكا في الفوضى الحربية . ولكن في الدور الملكي احس بثقل الوطأة ، وكان اثقل من الدورين على العراقيين دور الانقلاب، وزمن الانتقال والتحول من العسكرية الى الملكية. فقد كان ذلك النزع ثقيلا على العراقيين فاضطرتهم الحالة الثقيلة الى الابتزاز، والتعاطي بالاحلام السياسية وان لم يحذقوها تماما. وجاء دور بناء الحكومة العراقية فكنت لا ترى في الأمة الا سياسيا وسياسة. وكان الجمهور العراقي كله طائفة سياسية. فكانت السياسة في الجوامع ، والمخادع ، والمقاهي والاسواق ، والطرقات، فالبقال والعطار، والفلاح ، ورجال العلم، ورجال الدين ، ورجال المال كلهم سياسيون، وكل العراق موجات سياسية . وقد عمّ الطوفان السياسي في العراق حتى فار التنور سياسة. ثم رسخت الحالة وهدأت قليلا فانصرف الفلاح الى حقله ، والبقال الى دكانه ، والمعمم الى زاويته ولكن لا تزال ذيول لتلك الحال هي بالفوضى الادبية اشبه منها بالفوضى السياسية.

## الفوضى الادبية

لا تسعد الأمة، وتنتعش حالتها الاجتماعية حتى تصبح الأمة ، وشعارها (قيمة كل امرئ ما يحسن). فتنعزل طبقاتها ، وتتعاطى كل طبقة فيما يعنيها، وينصرف كل شخص الى ما يحذق. حينئذ يشيع الاختصاص، ويتبارى الاختصاصيون في بنيان مجد الأمة، لا كما نحن اليوم في اكثر جهالنا فلا شخصيات كاتبية، ولا انفاس خاصة للشعراء ، ولا فنيون، ولا اختصاصيون : الشاعر سياسي ، والعسكري مالي ووو ... وهكذا فقد انكرنا على علم البديع الجناس، وتناسب الاطراف، وصرنا نعتقد انه من البديع عدم تناسب الاطراف . هذا شيء من الفوضى الادبية التي ما زلنا نرتطم باوحالها. ولا شك ان الحالة آخذة بالركود ، ومتدرجة الى الرسوخ، وسوف يذهب هذا التهويش والتشويش الذي يناسب البداوة ويسعد العراق بالاهل الخلص لا هؤلاء المسرفين من هنا وههنا. وحينئذ يقوم المتخصصون من العراقيين فينفخون في العمل العراقي روحا جدية، ويحيون فيه ارادة تامة بصدق النظر ، وصدق العمل. اجل. اجل. اذا تطالع في افاق العراق الرجال الاختصاصيون كما تتطالع النجوم في لجة الليل، وتوافدوا الى العاصمة كما يتوافد الشعور الى القلب يومئذ يبتدئ تاريخ سعادة العراق، وينتهي تمثيل تلك الرواية السياسية على مسرح العراق.

ان الحقيقة العراقية والجامعة الوطنية ليست امرا اختراعيا بل هي ميزة ذات اثار مادية وادبية ناشئة من تربة العراق ، وسمائه ، ومن عرف العراق وتقاليده. وهيهات ان يتم انتعاش البلاد بدون ان نعدل صفوفنا، ونسوي طبقاتنا ، وتتحد آدابنا، وعرفنا ، وتقاليدنا، ونسبر الامور المادية العراقية، ونلاحظ الحالة الاقتصادية ، والقابلية الاجتماعية لنفرغ القضية العراقية باحسن صورة. وعلى كل حال فالجهة التاريخية الآن تهمني اكثر من التفاؤل ، والآمال.

## النوادي العراقية

ان النوادي العراقية يروج فيها السعال، والدخان، والبن المطبوخ اكثر مما يروج فيها الادب والسياسة والعلم. وحديث المجالس كلمات باردة ، وخوان ملون بانواع من الغذاء ولكنه سجع لا طعم فيه ولا ملح، ففي كل مجلس جوق من تماثيل يتثاءب ويتمغط باقاصيص ، وغثيان ، وفي الغالب الجهة السائدة في النوادي لهجة انتقاد ، واقتراح مثل العجائز لا يرضيهن شيء، ولا يستطعن عمل شيء. وما النادي العراقي إلا حقيبة راسم منضدة فيها الرجال تصاوير، كمود في الالوان، وجمود في الافكار ، وركود في العواطف لا يهبون ، ولا يرون لهم ان يوقظوا . ترى الجمعيات المهمة، والاجتماعات الخطيرة ، والنوادي السياسية في البوادي بين الطقوس والكثبان، ولا حسيس في البلاد على ان البلاد هي مركز تلك الشؤون المدنية، ومحطة تلك الافكار الاجتماعية لا البداوة المبعثرة ، والبدو البسطاء. وربما وجدت في العراق نواد سياسية، وادبية ، ولكنها كبقية المواد الاختراعية والصناعية التي تجلب الى سوقنا من منتوجات الاخرين. وحبذا لو تصادف رغبة عندنا ، ومكثا، ولكن لا يلبث عمر تلك النوادي في العراق الا كعمر الوردة اول ما تكون ريّا ممرعة وسرعان ما يفاجئها الذبول. وأول النوادي السياسية التي انتشرت في العراق نوادي جمعية الاتحاد والترقي (قلوب) فقد بدأ تأسيسها في العراق سنة 1327 هجرية ولم تكن مدينة من مدن العراق الا وفيها (قلوب) .وقد عاشت تلك النوادي الى اوائل الحرب العامة وربما تخللتها فترات. ولم يكن (القلوب) بناد عراقي وان كان في العراق، بل هو ناد تركي يعمل للسياسة التركية ، ولو بخراب العراق ودماره . ولم يكن في قباله ناد سياسي عربي في االعراق الا النادي الادبي في بغداد الذي وجد قبيل الحرب العامة اسسه مزاحم بك الباججي وابراهيم حلمي العمر بمساندة الزعيم السيد طالب باشا (النقيب) الذي كان ناهضا في وجه الاتحاديين . وقد كان هذا النادي ادبيا في منهاجه، وعنوانه، ولكنه كان يتعاطى بالسياسة العربية العراقية . على انه كان ضعيفا قبالة النوادي الاتحادية . وقد ابدى مزاحم بك وابراهيم حلمي شجاعة فائقة، وتضحية في قيامهما بشؤون ذلك النادي يومذاك . وفي الاخير ضيق الاتحاديون عليه الخناق فسدّ ،وفرّ القائمان به الى البصرة للاحتماء بنفوذ الزعيم. ولم توجد بعد ذلك نواد سياسية علنية، ورسمية في العراق. نعم وجد اخيرا بعض نواد ادبية نذكر اسماء بعضها، ونترك فحصها

وتفسيرها ومعرفة المغزى منها لغيرنا من الكتاب مثل : المعهد العلمي، نادي الاخاء، نادي الاصلاح، منتدى التهذيب ووو ...

---

(1)جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2019 - 16 كانون الاول 1926م - 10 جمادى الاخرى 1345 هـ .

# - 3 -

(1)

# الاحزاب

ان التربية السياسية في العراق كغيرها من انواع التربية الصحيحة ضعيفة جدا لانها حديثة. واخيرا دخل العراقيون هذه المدرسة ولما تنتظم صفوفهم فيها، ولم ينبغ لهم فيها اساتذة، واقطاب، ولا تشربوا المبادئ السياسية، ولا اعتنقوا تلك العقايد اعتناقا. فلا اخطئ لو اقول اليوم ربما يبطئ العراقي في تبديل ثيابه، ولا يبطئ في تبديل مبادئه السياسية . ولا تصح الاحزاب حتى تصح المبادئ. وما اشبه العقائد السياسية بالمذاهب الدينية فما لم تكن لتلك شيعة، ومعتنقون مثل شيعة المذاهب الدينية، وطوايفها لا تكون الاحزاب قوية، ومؤثرة على سياسة البلاد وادارة دفتها. ولو رسخت تلك العقايد في نفوس العراقيين لما رأيت ذلك الرخص في المبادئ عندهم، والتحول السريع من حزب الى حزب، ومن انتساب الى انتساب. وقد وجدت للعراقيين انتسابات ومبادئ حزبية عديدة، واتبعت دعايات، واقيمت مناورات لجر العراقيين، والاندفاع بهم الى حظيرة المبادئ التركية، وغيرها. وربما وجدت احزابا سياسية مهمة في العراق كان لها تأثير على العراقيين، ولم تكن تلك الاحزاب عراقية المبدأ . وفي الغالب كانت المبادئ السامية تتمكن في بلادنا وتنتشر بخلاف المبادئ العراقية فانها تبقى خافتة الصوت ضعيفة بالمنتسبين وان كانت قوية ، وحقيقة في نفسها ، ولا بد ان يكتب لها الفوز يوما من الايام. وها انا اسرد عليك كافة الاحزاب التي تأسست في العراق والمهم منها عشرة:

1.حزب الاتحاد والترقي
2 .حزب الائتلاف
3. حزب جمعية العهد
4. حزب جمعية الحرس
5. حزب الحر
6. حزب الاستقلال
7.حزب النهضة
8.حزب الأمة
9. حزب التقدم
10.حزب الشعب

فأول الاحزاب في العراق هو حزب الاتحاد والترقي كما انه اكثرها انتشارا فيه، ومبدأ تأسيسه في سنة 1909 والمؤسس له الحكومة الاتحادية . وجريدة الزهور

البغدادية جريدته .ولم تكن لهذا الحزب صلة سامية في نفوس العراقيين ، وانما كان كأمر رسمي ، ومجاملة سياسية . وتمسك الاتحاديين الشديد بجنسيتهم نبّه العناصر العثمانية، واعطاها دروسا سياسية تحسس لها العصب الحي، وبادروا بتأليف الاحزاب فكان العرب في الاستانة ومصر وبيروت والبصرة من الثائرين باكثر من غيرهم فاوجدوا حركة حزبية من 1909 الى 1914 ، وكانت سريعة ، وشديدة الخطر على كيان الدولة. وفي عام 1912 وجدت فروع لحزب اللامركزية في العراق، وانتشر انتشارا كبيرا، وقد تألف هذا الحزب في مصر سنة 1912 من اقطاب الحركة العربية ، وكان له منهاج يشتمل على 33 مادة وقد كانت مراكز هذا الحزب برعاية الزعيم طالب باشا ( النقيب )في البصرة، وسماحة يوسف السويدي في بغداد والنقيب الحاج عبد المهدي حافظ في كربلاء والنجف وكثير غيرهم. ثم اسس السيد طالب باشا ( النقيب ) جمعية البصرة الاصلاحية وهي كالجمعية الاصلاحية البيروتية ، ولكن الجمعية العراقية كانت اقوى وافحل. وهذه الجمعية لم تتعد حزب اللامركزية في الخطة والغاية .وقد انتشرت هذه الجمعية انتشارا هائلا في العراق، واعتنقها العراقيون اعتناقا حقيقيا لانها كانت تضرب على الوتر الحساس ، وزلزلت الاتراك في البصرة والمنتفك والعمارة ، وقد بلغت الدعوة قضاء الشامية ، وابي صخير فصادفت اكبر نجاح، ونما بذرها على شاطئ الفرات من ابي صخير الى شط العرب الى الخليج. ولكن جاءت سنة 1914 تحمل الكارثة العالمية ، فقضت على تلك الامال ، وقلبت تلك الخطط. وبعد الهدنة ، وفي اوائل قيام الدولة المباركة العراقية اسس سماحة محمود الكيلاني حزب الحر العراقي فكثر الانتساب اليه ، ولم توجد له فروع خارج العاصمة وكانت جريدة العاصمة لسان حاله، ثم اصيب ذلك الحزب بداء السكتة، فانطوى كما انتشر. وفي سنة 1924 اسس الحاج محمد امين الجرجفجي ، حزب النهضة، واسس المحامي داود السعدي، والشيخ احمد الشيخ داود حزب الأمة في العاصمة، وكان المأمول لهذين الحزبين ان يكونا حزبي البرلمان العراقي لانهما تأسسا والأمة على ابواب الانتخاب للبرلمان العراقي . وقد وجدت حركة انتساب لهذين الحزبين في العاصمة، ووجد لهما بعض الفروع في خارج العاصمة، ولكنهما لم يستطيعا التأثير على مجرى الانتخابات فلم يكونا حزبين برلمانيين فخرجا سريعا عن ميدان السياسة، وتناستهما السياسة العراقية. وعند التأهب لانفتاح البرلمان اراد فخامة عبدالمحسن بك السعدون ان لا يكون البرلمان العراقي ناقصا في وضعيته السياسية، وقليل الفائدة وذلك لعدم وجود حركة حزبية في الحياة البرلمانية فسد الثغرة وعلم العراقيين القيام بواجبهم في هذا الدور المهم، ووضع منهاج حزب التقدم طبقا لعقلية الأمة السياسية، والقابلية الاجتماعية ، ونظم خططه الرشيدة ودعا نواب الأمة لاعتناق مبادئه فصادفت اقبالا وتلبية عاجلة . ساندته الاكثرية الساحقة من النواب بل لو اخرجه من قفص البرلمان، ودعا اليه العراقيين لاعتنقته الاكثرية من العراقيين ، وذلك لان في مبادئ الحزب من العراقية ما ليس في غيره . وفخامة عبدالمحسن بك هو الشخصية الممتازة من بين شخصيات العاصمة بانها تحمل من العراقية اكثر من غيرها.

وبحركته الصالحة هذه فتق الاذهان واوحى بعمله الى بعض القرايح اللطيفة، والادمغة المفكرة ان توجد حزبا يناضل حزب التقدم حتى يتم التمثيل البرلماني ، وتتكامل الافكار فيخرج منها بشر، ويولد نور تستضيء به الأمة. وعندما التأم المجلس رأينا صفوف حزب التقدم المتراصة تشعر الهيبة المتبعة في الاقتراح على مهمات الامور. وقد مضى الاجتماع غير الاعتيادي ، وبعده الاجتماع الاعتيادي في ظرف عشرة اهله تقريبا، وحزب التقدم يدير المجلس والحكومة المنتمية اليه طبقا لخططه ومنهاجه. وفي هذا الاجتماع اصبح يساند الوزارة الائتلافية ما دامت تماشي خططه. وهكذا هو سوف يتضامن ، ويحفظ هيبته وتأثيره .

بعد ان اسس فخامة السعدون حزب التقدم كانت الحياة البرلمانية بطبيعة الحال تقتضي حزب معارضة فتطوع فخامة (ياسين)الهاشمي واسس حزب الشعب من كتلة ضمت بعض الشخصيات الممتازة سارت بالمعارضة احسن سيرة فانها، وان كانت معارضة شديدة ، ولكنها في الاغلب مهمة ورشيدة. هذا ويمكن ان اقول ان الحزبية الصحيحة في العراق التي حملت مبادئ الأمة العراقية، وجسدت آمالها ، ومثلت عقليتها السياسية هي جمعية الاصلاح البصرية فقد كانت تضرب على الوتر الحساس الذي كان يتأثر له الاجماع العراقي، وهي المسألة التركية والعربية. هذه قبل الحرب، ومن بعدها يأتي حزبا التقدم والشعب فقد كانا يمثلان العقلية السياسية في العراق تماما، ويتفقان في مقياس الحالة والتقدير ، ولكنهما يختلفان من حيث الاتجاه ، ولا يوجد في العراق اليوم اكثر من مذهبين سياسيين هما الحكومة العراقية كما هي اليوم، والتحالف البريطاني كما هو. وهذه عقيدة التقدميين . والحكومة العراقية بتحوير والتحالف البريطاني بتحوير وهذه هي عقيدة الشعبيين . ولكن كان لجمعية الاصلاح البصرية من النفوذ السياسي في االعراق والتمثيل الحقيقي للعراقيين ما ليس بموجود لا لحزب التقدم ولا لحزب الشعب لان العراق باجمعه كان يساند تلك الجمعية، وفروعها منتشرة في القطر والانتساب اليها عام وشامل . ولكن هذين الحزبين وبالاخص حزب الشعب لا وجود لهما في الغالب الا بين جدران مركزيهما وفي قاعة المجلس النيابي . ولا شك ان هكذا احزاب لا تكون لها المعنوية الحزبية، فلا تكون لها المكانة التي لغيرها من الاحزاب في البلاد الراقية.

هذه بعض الجهات الاجتماعية في العراق ، ولا توجد في بلادنا شركات عراقية، ولا نقابات، ولا معاهد. وبعد هذا التمهيد فلنطرق موضوعنا وهو طبقات الامة ، على ان الطبقات العراقية الحاضرة لا تتباعد كثيرا فان العناصر الاجتماعية في جيلنا متكافئة ونسبة الدقائق الجوهرية المؤلفة لمجتمعنا هذا ليست متفاوتة فلا يوجد بين الطبقات هوات بعيدة، وفجوات واسعة .

---

(1)جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2020 - 17 كانون الاول 1926 - 11 جمادي الاول 1345 هـ

# - 4 -

(1)

# طبقة المعممين

اذا اردت ان تعرف هذه الطبقة المهمة فلا بد ان تعرف تاريخ المدرسة في العراق لاننا نريد بالمعممين خريجي مدرسة القديم من رجال الدين ، والروحانيين واليك شيئا من تاريخ المدرسة العراقية:

ان الشرق ما امتاز عن الغرب بخصائص جغرافية وميزات مادية فقط ناشئة عن فروق من جهة المحيط والاجتماع بل هناك هوّة واسعة وبون شاسع في النزعات النفسية والاسلوب والميزات الروحية فكان الشرق من يومه الاول قريبا للايمان والوحي والروح، وكان الغرب قريبا من البرهان والعقل والمادة ،هذا يتغذى بالروح ، ويستقي من الأنبياء وذلك يتغذى بلفائف الدماغ، ويستقي من الفلاسفة. فالعرب الى الوادي، والى الغاب ، والى المسجد اقرب منهم الى المدرسة، اي انهم الى وادي الوحي والالهام اقرب منهم الى زاوية البحث والتفكير. فلم تكن مدرسة عربية في العراق يوم كان العرب عربا اقحاحا، ولكن بعد ان امتزجت النفسية العربية بروحيات اقوام شتى، واستولت فتوحاتهم على مدنيات ذوات حضارة، وتاريخ علمي وادبي فاكلت لغتهم بما فيها من السلاسة ، وقوة الظفر عدة لغات حية ولما تستهلك خصائص تلك الامم ، ومميزاتها الاجتماعية والادبية بل تجمعت تلك الخصائص ، وتلاحقت فكونت حياة ادبية وعلمية للعرب متوارية وراء حياتهم الاجتماعية .

نعم بعد ان وفدت هجانة العرب بذلك الحماس العالي الى العراق فهدموا بقوة اخلاقهم بنيان دولة الفرس، وورثوا ما كان للفرس واليونان والرومان والكلدانيين والاثور من مدنية وحضارة واجتماع وفلسفة فتكونت انفعالات في الروح العربية، ونزعات في نفسية الأمة جرتها الى انقلاب فكري، وتجدد روحي او حياة روحية وراء هذه الحياة المادية. فان العرب الفاتحين بسبب الاختلاط ، والاحتكاك جاشت صدورهم بعواطف وتمشت في نفوسهم امال ، وثارت في مشاعرهم انفعالات مرتبطة برغبات غامضة وسقطات وهزائم روحية مبهمة في عالم الحياة بسلسلة من الوقائع والتتابع طويلة عميقة. فكانت جهود مخبوءة ، ومحاولات مستورة ، وتشبثات في نفسية الأمة في تلك الحياة الكامنة وراء هذه الحياة، والراسبة من تلك الحركة الفكرية والاسلوب الادبي. فتمشيا مع هذه الروح، وبناء على هذا الاساس يكون للمدرسة العراقيةتطورات وانقلابات حسب العواطف والانفعالات والامال. ومن تلك الاغوار والاعماق قامت المدرسة العراقية ، وفي خلواتها شيء من تلك الحياة الكامنة وشيء من تلك الحركة الفكرية وذلك الاسلوب الادبي .واذا اردنا ان نحذق تاريخ المدرسة العراقية تماما كان علينا ان نحذق ادوارها واطوارها في نفسية الأمة ، وحياتها الكامنة . وكان علينا ان نحلل نفسية الأمة في كل دور او

طور مدرسي. ولكنني لا استطيع ان اتغلغل في تلك الاعماق لا خوفا من التيه في ذلك الوادي بل تحاشيا من الحشرية والدهماء. فاني احب الهدوء، وابغض الجلبة، ويمكنني ان اقول ان الادوار التي اجتازها الفكر العراقي في المدرسة هي ادوار ثلاثة او مدار من ثلاث:

دور التصديق فقط ، ودور التصور فقط، ودورهما معا. اي تارة اشتغل الفكر العراقي في المعرفة المطلقة، وطورا في المعرفة الغيبية، واخرى في المعرفة الحسية . فالمدارس العراقية هي المدرسة الظاهرية، وهي التي تبحث في الظواهر فقط . والمدرسة الباطنية، وهي التي تبحث في البواطن فقط. ومدرسة تفرّق الظواهر عن البواطن ، وتبحث عن العلاقة بينهما ، ومقدار الارتباط. واذا فتشنا عن التدرج المدرسي في العراق نجد ان الدراسة في العراق قد اسست مدرستين ، ومن تينك المدرستين خرجت طبقة المعممين ، وابتدأت تدشن الثالثة ، ومن هذه تخرجت ، وستخرج طبقة الافندية التي سنوافيك بشيء عنها.

وجدت مدرسة الظواهر في العراق وتشعبت فروعا وشعبا كما وجدت الجامعة ، او المدرسة الباطنية، وعاشت قرونا، ولكن خلا الزمن من تينك المدرستين وانتقل العراق الى الدراسة في المدرسة الثالثة، وهي مدرسة الظواهر والبواطن: مدرسة العقل والحس. وقد تأخر العراق عن الدخول في صفوف هذه المدرسة فتأخر في صفوف الاجتماع ماديا وادبيا، وتقدمنا الناس اشواطا . ولكن ابتدأ العراق يدشن هذه المدرسة، واتجهت اليه الافكار. ان البذرة الاولى للمدرسة العربية هي تلك الحلقات المقدسة التي كانت تجتمع في مسجد النبي (ص) فتتطارح بالحديث، والسنة ، والادارة، وحركات الجيش، والادب ، والتاريخ . ثم توسعت فكانت في مسجد الكوفة ، والبصرة . وكانت المساجد مركزا للحركة الفكرية ، واصبحت في غير اوقات العبادة مدارس. كانت جامعة بغداد، وجامعة قرطبة عبارة عن حلقات في مسجد بغداد الاعظم ومسجد قرطبة، وهكذا بقي الطلاب يلتفّون حول الاستاذ ويكونوان حلقا حلقا حتى كان الغرباء يأوون ليلا في اروقة خاصة تبنى لهم في تلك المساجد كما هو الحال في الجامع الازهر، فكان رواق لاهل الشام ، ورواق لاهل المغرب مثلا. وهذه الطريقة القديمة محفوظة عندنا اليوم فالجوامع في بغداد او مشهد علي (ع) (الصحن)، وجامع الهندي في مدينة النجف هي مثال ذلك القديم تماما .وربما وجدت بنايات واروقة ، كما في النجف شيدت باسم مدارس يسكنها الغرباء من طلاب العلم ورواد الادب ولكنها في الحقيقة منازل للسكان فقط ، والمدارس هي الجوامع ، والمشاهد ، ، وليس هناك مناهج، ولا صفوف ، ولا ترتيب فطلاب الادب وطلاب الحقوق ، وطلاب العلوم الدينية والرياضية كل هؤلاء مختلطون بتلك البنايات التي كانها نزلا لقافلة كبيرة.

---

(1)جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2021 - 18 كانون الاول 1926 - 12 جمادي الاخرى 1345 هـ

# – 5 -

(1)

# الادب المدرسي

شاعت عندنا الآداب المدرسية وعمت، بل لم يكن لنا ادب غيرها لا في المحاضرات ، والمطارحات ، ولا في التحرير ، والتقرير . وليست الاداب سوى صناعة لفظية فارغة مملوءة. فهي جدب في المعنى ، وخصب في اللفظ، وهي جفاف في الابتكار ، وفيضان في الصناعات اللفظية وما علم الصرف، والعروض والمعاني، والبيان الا من الآداب المدرسية. وقد انتشر الادب المدرسي في كل علم حتى في علم الفقه ، والتاريخ ، والفلسفة وما اكثره في الشعر لتجد تلك العوامل اللفظية تشتغل في نسج نصف مليون كلمة بتراكيب، واساليب متنوعة لمعنى واحد، او لنصف معنى . واليك نموذجا من ذلك : اراد احد المتأدبين بالادب المدرسي ان يذكر بان في البلاد اوحالا فقال (ان بعض اجزاء مائية تأخرت وارتفعت عن الوجه البحري وما زالت الحرارة تلطفها وترفعها حتى صادفت برودة في الطقس اثرت عليها فتكاثفت تلك الابخرة ضبابا فسحابا فطلا ، ثم هطلت مطرا غزيرا، ونزل حتى اختلط بتراب الارض وسحقته اقدام المارة فكوّن في الشوارع طينا يعيق الحركة، ويلوث الاقدام) . انظر الى الادب المدرسي كيف تصرف ، وتكلف في بيان ان في الطرق اوحالا . وهذه اوحال الادب المدرسي موجودة في كل طرقنا الادبية والعلمية فالادب المدرسي في المنهاج وكتب الدراسة والموضوعات العلمية والمطارحات ، ولا اصلاح الا بهدم هيكل الادب المدرسي ، وازالة بنيانه .

---

(1)جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2023 - 21 كانون الاول 1926 - 15 جمادي الاخرى 1345 هـ

# – 6 -

(1)

# طبقة الافندية-1

ونريد بهم ابناء المدرسة الثالثة التي ذكرناها للقارئ في التدرج المدرسي . اجل عاشت المدرستان الاوليان في البلاد العربية الى القرن الثالث عشر للهجرة اي قبل قرن تقريبا . فبدأت ثورة ، وعواصف في حياتنا الكامنة اي في اعماق النفوس، والمشاعر ، وذلك من الانقلاب الكبير الذي حصل في العالم الشرقي، ومن الاختلاط والاحتكاك بالمتجددين. فاخذت الأمة العربية تدشن المدرسة الثالثة، ولكنها بعد لم تنضج تماما، ولا تزال في سورتها الكامنة تجمع مواد كثيرة لانقلاب وانفجار هائل . وسوف يصبح لهذه المدرسة الاثر البالغ في بيت الأمة، وفي طبقاتها، ودواوينها، ومصانعها واسواقها ، وحياتها الزراعية اي كل وجوه الحياة الاجتماعية. والجيل الذي عندنا من الافندية هم خريجو هذه المدرسة لكن بصورتها الناقصة، وحالتها الاولية اي انهم خريجو المدرسة العثمانية التي كان يعتورها النقص من كل وجوهها خصوصا في البلاد العربية ، وخصوصا المدارس التي فتحت ابوابها لابناء العرب فان المدرسة التركية الاولى مضى عليها دوران :

دور كانت فيه ناقصة حتى عن الصورة المدرسية، ولا فرق في الانحطاط حينذاك بين المدرسة التركية ، والعربية. والدور الثاني بعد الدستور ، وفي هذا الدور تحسنت المدرسة التركية وتقدمت كثيرا وتلك للاتراك فقط دون العرب، وكانت النعرة الجنسية ملء انوف الاتحاديين، واليك شهادة تاريخية عن نصيب العرب في تلك المدرسة زمن الاتحاديين :

قال سليم افندي سلام احد مبعوثي بيروت يصف حال المعارف في البلاد العربية من خطبة القاها في مجلس النواب في 14 تموز سنة 1914 اثناء المناقشة في ميزانية المعارف.

---

(1)جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2025 - 23 كانون الاول 1926 - 17 جمادي الاخر 1345 هـ

# – 7 -

(1)

# طبقة الافندية -2

" تكتفي وزارة المعارف بان تقول عندي مدارس سلطانية كذا ومدارس اعدادية كذا. لا تفكر في حال هذه المدارس. خذوا ايها السادة مسألة تعيين المديرين والمعلمين والمعلمات مثالا للتطبيق والكلام . انها تعين لتدريس اللغة العربية الشريفة اناسا ليست معارفهم بها باكثر من معارف العوام . بل هي تعين مديرين تبرأ الادارة الى الله منهم. تحدث الوزارة وظيفة في المعارف فتقلدها من تشاء بغير حساب تارة تتبع هواها وادارتها وتارة تمتحن ولكن بلا قاعدة ولا اصول الا الشفاعة والالتماس والانتساب الى رجل كبير. كل هذه الاسباب جعلت مدارسنا الرسمية في الانحطاط الذي تعرفونه ، هذه مدرستنا السلطانية في بيروت تأسست منذ 30 سنة لا يبلغ عدد طلابها 200 طالب وفي كلية اليسوعيين في بيروت 700 طالب وفي مدرسة الفرير ايضا 700 طالب . ولعلكم تقولون ان الثقة بمدارس الاجانب هي التي سببت هذا الاقبال عليها، نعم انها الثقة ولكن الثقة لا تكتسب عن غير جد ولا عمل، ولولا رغبة اهلين في الانتظام بسلك الوظائف لما دخل احد ابنائنا مكاتب الدولة ، وذلك ظاهر للعيان ارأيتم حتى الان متخرجا من مدارس الحكومة يتعاطى التجارة، او الصناعة، او الزراعة. كلا ثم كلا فان جميع الذي يتعاطونها من خرجي المدارس الاجنبية، او الاهلية لا المدارس الرسمية. يحزنني ان ابلغكم ان مدارسنا الرسمية باتت معامل لصنع الموظفين مع ان المدارس لم تنشأ الا لكي تخرج للوطن رجالا ينفعون بثمرة عقولهم، ورجالا يعيشون بكدهم وجدهم. تلك حال مدارس الصبيان في بلادنا العربية اما مدارس البنات فماذا اقول فيها غيرانها لفي الدرك الاسفل .

" المرأة قوام الحياة الادبية وركن الهيأة الاجتماعية فما دامت منحطة فلا شك ان الأمة تظل منحطة . ان مدرسة البنات العثمانية في بيروت لم تتخرج منها منذ انشائها الى الان تلميذة واحدة جديرة بالاحترام العلمي. وخلاصة القول ان حال المدارس للصبيان والبنات في البلاد العربية توجب الاسف الشديد، وان وزير المعارف المحترم واقف على احوال المعارف، ومع ذلك هو يتقاعس عن اصلاح الحال . وانه ليحزننا جدا ان تهمل وزارة المعارف واجباتها حيث المصلحة السياسية تقضي عليها بمزاحمة الاجانب . لجمهورية فرنسا ايها النواب مدارس في سوريا فيها 43 الف تلميذ ولروسيا مدارس فيها 35 الف تلميذة ما عدا المكاتب الايطالية، والالمانية والامريكية، وغيرها ، فاذا علمتم ان عدد تلاميذ المدارس الرسمية دون ذلك العدد الكبير بكثير ادركتم الخطر الذي يهدد البلاد. هذا بيان موجز عن مكاتبنا الرسمية وتواكل وزارة معارفنا واهمالها لبلادنا العربية، ولم

تكتف بهذا الاهمال فقط بل تعمدت هضم حقوق العرب بارسالها مئات من الاتراك على نفقة الأمة الى اوربا. وقد سعيت كثيرا لاعلم ان بين هؤلاء الطلبة عربي واحد فما وجدت واحدا في المئة ، فضلا عن ان عدد المدارس في البلاد العربية يقل عن نصف عدد المدارس التي انشأتها الحكومة فقط في مدة سنة واحدة في الولايات التركية وذلك سنة 1913 ". انتهى كلام سليم أفندي.

تصفح هذه الشهادة التاريخية حتى تتبين المقدرة العلمية والادبية التي توجد عند طبقة الافندية المالئة دوائرنا ، ودواوين وظائفنا فانهم تركة العثمانيين عندنا، وفضل زادهم، ونتاج تربيتهم ، وخريجو مدارسهم العربية لانهم عرب.

ان طبقة الافندية في العراق سواء كانوا من العراقيين، او من الذين تجمعوا في العراق من هنا وهناك، بقية تلاميذ الدور الحميدي في الغالب فهم تلاميذ المكاتب التركية الابتدائية ، والرشدي والاعدادي والسلطاني، ومكتب الحقوق ، والمكاتب العسكرية ، وكلها عرفنا سليم افندي سلام بقيمتها. واذا وجد فيهم المتخرج من المدارس الاجنبية فليسوا من الحائزين على الشهادات العالية فالكلية البيروتية ذلك المعهد العلمي الكبير الذي ملأ مصر ، وسورية بالمتخرجين من ذوي الشهادات العالية ليس له في العراق من يحمل شهادته العالية الا نفرين او ثلاثة . من اجل ذلك ترى العراق بتشكيلاته الضيقة التي هي تنقص عن تشكيلات سائر الدويلات الصغيرة فقيرا الى تلاميذ المدرسة الثالثة محتاجا للموظفين الذين يشغلون تلك التشكيلات . فهو مرتبك في سيره من هذه الوجهة تارة يستعين بغير العراقيين اولئك الذين تضيق بلادهم فلا يجدون ما يجدونه عندنا لان العراق يستقبلهم بالرواتب الضخمة، والمحلات الموقرة، وفي ذلك ما فيه من الاضرار الاجتماعية، والاقتصادية، والادارية، وتارة يتناول العراقيين غير الناضجين فيطرحهم، وبالا على رأس الأمة، وكثيرا ما يضطر الى عدم التناسب بين الموظف والوظيفة فيعين العسكري للادارة ، والحقوقي للاقتصاد، والاقتصادي للمعارف مثلا، وفي ذلك ما فيه من التهويش، والتشويش . ولعله من اجل ذلك لا توجد ملاكات منظمة للمأمورين ، كما ان التعيين في اغلب الدوائر اليوم لا يخلو من اعتبارات سياسية فلا هو طبق الاستحقاق ، ولا يعطي الموظف الزمن الكافي حتى يستفيد ، ويفيد بوظيفته خصوصا الوزارات، والوظائف الادارية فان حركة التغيير، والتبديل فيها سريعة كما انه دائما لا توجد مناسبة تامة بين الراتب والوظيفة، والذي يتقاضى الراتب، وانه ليحزننا ان نلاحظ هذا العوز، والعراق بعد لم تكمل تشكيلاته، ولم يتم بنيان حكومته فكيف به لو تم واكتمل. واني لاكتفي بهذه السطور تعريفا للقارئ بمقدار التجدد في طبقة الافندية ، ونسبتهم إلى نسبة عدد تلاميذ المدارس التركية من العراقيين، وقيمة تجددهم وقيمة الشهادات التي يحملونها من تلك المدارس.

---

(1)جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2026 - الجمعة 24 كانون الاول 1926 - 18 جمادى الاخرى 1345 هـ

# - 8 -

(1)

## 3- طبقة الأفندية

هذه طبقة الافندية في جيلنا الحاضر واذا اردت ان تعرف مقدار تلك الطبقة في الجيل، فادخل صفوف المدارس ، والمكاتب، ولاحظ منهاج التعليم، وطبقات تلك المدارس، وادوارها التعليمية، وكتب الدراسة واقتدار المعلمين ، وقيمتهم العلمية ، والاخلاقية ، والتربوية ولاحظ عدد البعثات العلمية من العراق الى الخارج، وعدد التلاميذ المبعوثين وكيفية توزيعهم على المدارس التي ارسلوا اليها. ولاجل ان يقف القارئ على الحالة تماما نثبت له كلمة سبقت لنا في اثناء مقال نشرناه في العام الماضي في مجلة الحرية البغدادية المحتجبة ج 7 من المجلد الثاني نكشف له عن المدرسة العربية وما قامت به مع بعض معلومات استقيناها من تقرير المعارف الرسمي واليك ما قلناه :

اصبح العالم الاجتماعي عالما فنيا في كل مادياته وادبياته واصبح الانسان انسانا مصنوعا اكثر منه طبيعيا وفطريا . فامة لا تربية لديها، ولا علم عندها لا قيمة لها ولا مصير. وقد طلع القرن العشرون على العالم العربي، ونفسيته فاسدة لا تلائم نفسية الامم الحية ولا صالحة للحياة العصرية فالتربية فاسدة والاخلاق رثة، والتقاليد مائية، والعلوم لفظية شقشقية والامية ضاربة اطنابها عامة وشاملة حتى انه لا يمكن الجزم بالحصول على واحد من الالف يتقن القراءة البسيطة فقامت المدرسة الحديثة في هذه المرحلة من القرن العشرين بالعبء الخطير وغذت النهضات الكبرى ، وانشأتها بقوة العلم والرقي الفكري واليك الوظائف المهمة التي انيطت بالمدرسة الحديثة لكي يتسنى الانتقال بالعالم العربي الى حياة علمية جديدة:

1. نشر التعليم الابتدائي بنطاق واسع وشامل.

2. تعليم المرأة وايجاد نهضة نسوية اخلاقية وادبية مناسبة للشرف الوطني والعزة القومية لان المرأة نصف الأمة، وهي المدرسة للنصف الاخر فلا يمكن ان تظل عاطلة جاهلة، وكيف ينشط حي مات نصفه.

3. تربية ملكات وتعزيز ارادات وبنيان اخلاق ونفوس من معدن الشرف الوطني ، وفضائل القومية العالية يتحصل بها ابعد قوة وطنية وامنع ثروة قومية يبني بها العالم العربي دولة سياسية ، ومجدا اقتصاديا على اساس راسخ .

4. السير بالتعليم الى الجهة النافعة لا الى الجهة الضارة بايجاد مباراة مطابقة بين انواع المدارس من ابتدائية، وثانوية، وعالية فنلاحظ النسبة بين الثلاثة بان تكون التالية مستعدة وقابلة لتناول الثمرات الناضجة من المتقدمة حتى لا يحصل رسوب، وتعطيل في المتعلمين، وان تكون المدارس العالية تتوخى الصالح الوطني ، وبمقدار حاجة الوطن ، واستعداده لكفالة المتخرجين فلا يكون اسراف في بعض ،

وتعقيد في بعض فينتج عن ذلك ان تحتاج بعض المشاريع والاعمال الوطنية الى خريجين فلا تجدهم وان كثيرا من خريجي المدارس الاخرى لا يجدون لهم اعمالا ومشاريع في الوطن.

5. وضع منهاج عام للتدريس والتدريب يتوخى فيه الصالح القومي ، والمنفعة الوطنية ويكون بعيدا عن السياسة وتسمماتها يجهّز طلابا وقادة عربا، او يجهز امة عربية . هذه هي الوظائف المهمة التي عالجتها المدرسة الحديثة فقامت بالكثير منها المدرسة المصرية، وبالقليل المدرسة السورية، ولم تقم بالقليل، ولا الكثير المدرسة العراقية. فان المعارف العراقية لم تنشط بل لم تنبعث الا منذ اربعة اعوام ، والعوز شامل لها بجميع اطرافها فالتعليم الابتدائي ضعيف والثانوي اضعف ، ولا اثر للعالي. ومن مظاهر انحطاط الروح العراقية انها تعتبر المعارف والتعليم من وظائف الحكومة ، وكلما هو موجود في العراق من المدارس الابتدائية 228 للذكور فيها 22712 طالبا وللاناث 27 مدرسة فيها 4053 طالبة، ومجموع المعلمين والمعلمات 9048 ، والمدارس الثانوية 5 ، وفيها من الطلاب 583 منهم 340 في الصفوف الاولى و 136 في الصفوف الثانية ، 99 في الثالثة و 38 في الرابعة، و 43 مدرسة تقريبا اهلية بما فيها مدارس الجالية ، والطوائف الدينية ، ومدرستان للصناعة، وقد كانت في العام الماضي ثلاثا، ولكن المعارف سنة 1925 الغت واحدة، ومدرستان للمعلمين الاولى والعالية في بغداد ، وداران للمعلمات واحدة في بغداد وعدد طالباتها 17، والثانية في الموصل وطالباتها 21 وكلية حقوق مختصرة لانها في هبوط مستمر، والمنهاج العام للتدريس في العراق يحتاج الى تدقيق واصلاح فانه لم ينظر الى مستقبل الطلاب او الشعب .وان الروح الوطنية فيه ضعيفة. وارى الغايات السياسية فيه اكثر من الغايات الادبية كما ان كتب التدريس تحتاج الى تنسيق وتشذيب وادخالات واخراجات كثيرة . هذه معارفنا في الداخل، واما بعثاتنا العلمية في الخارج، فضعيفة جدا لان عدد مجموع الطلاب الذين بعثوا على نفقة وزارة المعارف في هذه السنة 35 طالبا ولم يرسل على نفقة الاهلين نصف هذا العدد ومن هذه المعلومات تعرف طبقة افنديتنا في الجيل المقبل.

---

(1) جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2027 - السبت 25 كانون الاول 1926 - 12 جمادي الاخرى 1345 هـ

# -9-

(1)

# طبقة الكتاب والشعراء -1

اذا كان توجد عدنا طبقة للكتاب والشعراء فانهم لم ينشأوا في فلك مستقل، ولكنهم ترعرعوا اما في احضان المدرسة التي ترعرعت فيها طبقة المعممين ، واما في احضان المدرسة التي ترعرعت فيها طبقة الافندية ، فالتجدد في هذه الطبقة هو بنسبة التجدد في تينك الطبقتين. اما الشخصية الكاتبية فبعيدة العهد بعراقنا اذا كان توجد في مصر، او في سورية شخصية كاتبية سواء كانت عتيقة، او جديدة في الاسلوب او في المادة ، او في الاتجاه .

نعم ان وجوه الحياة المادية والادبية ضعيفة في العراق، وبما ان بين مناحي الحياة، ووجوهها امشاج، واشتباك فهذه الجهة تاخذ بنصيبها الكافي من الضعف بل وتزيد عليه، ولا احب ان اتبسط في هذا البحث لاني ربما اخز بريشة قلمي بعض الشخصيات اللاتي يكبر عليها ان تصارح، ويعز عليها ان تجابه، ولا يمكنني ان اغترف للقارئ الا بكاتبية اربعة اشخاص تقدموا على غيرهم :

1 . فقيد العراق الشيخ (محمود شكري) الالوسي في الاسلوب التاريخي

2. الأب انستاس ( الكرملي) في الاسلوب العلمي

3. رفائيل بطي في الاسلوب الأدبي

4. ابراهيم حلمي (العمر) في الاسلوب السياسي

واما الشعر فاني اذا نهجت فيه بالطريق الذي سلكه الادباء المتجددون في مصر كالمازني ، والدكتور طه حسين، و (محمد حسين )هيكل وامثالهم واردت ان اجعل تحليله والبحث عنه كفصل لمنطق تاريخي ادبي وجب علي ان ادرس العصر ، واحيط بما فيه من الالوان الظواهر ، واستنبطه من الحياة العقلية ، والاجتماعية والسياسية ، والاقتصادية، وما حولها من المؤثرات والادوار التاريخية والاطوار الاخلاقية ، واتعرف نفسية الأمة تماما فاعرف الشاعر بعصره لا العصر بشاعره، وحينئذ فيمكن ان يجرني البحث الى انكار وجود شاعر عصري اليوم في العراق لان العراق بحالته الراهنة ، ولا ازيدك علما بها ، يحتاج الى شاعر يقوم بعدة امور مهمة:

1. يمثل العراق بما فيه ، ومن سائر جهاته الاجتماعية والاخلاقية والروحية.

2. يحكي الرنة الشجية التي في اعماق نفسية الأمة اي يكون صدى لوقع الحوادث على تلك النفسية .

3. يؤلف موسيقية قومية وعراقية تؤثر على عواطف العراقيين ، وتخفف عليهم آلام حبوسهم الضيقة في هذه الحياة فينظرون الى القوافي ، وهم في سجنهم الاجتماعي ،كنوافذ للنور والنسيم.

4. ان يوجد في الشعر دعابة خلابة تعبر عن قوة جاذبية في نفسية الأمة .
فمتى ما بعث الله الى العراق بشاعر يقوم بتلك الوظائف فذلك هو الشاعر العصري.

مرت على الشعر العربي ادوار ، وها هو اليوم مقبل على دور جديد بعد لم ينضج تماما . فالدور الجاهلي كانت ميزة الشعر العربي فيه لفظية لا معنوية، وحقائقيته اكثر من مجازاته اي ان الخيال فيه ضيق، والبساطة والبداهة باديتان عليه، وكل ما فيه من فخامة الاسلوب والجزالة والرصانة ، فاذا تليت عليك قصيدة من الشعر الجاهلي تسمع لها جلجلة وقرقعة كانها احدى القوافل الفارسية القديمة تسمع دوي اجراس بغالها من بعيد، وما الطف ما قيل في هذا الصدد :(رحى تطحن قرونا). هكذا كان الشعر الجاهلي والخضرمي، وحق له ان يكون كذلك لان الحالة الاجتماعية يومذاك، وما فيها من البداوة والجفاف والجدب، والعزلة العربية كانت تقتضي ذلك فالشعر الجاهلي اذن كان يحكي عصره تماما. ثم جاء دور المولدين وبدايته من آخر عهد الدولة الأموية فكان للشعر العربي دور جديد وجاءت نوبة المعنى فتطور واتسع باتساع مجال الخيال العالي، وتشربت القرائح العربية الرقة، والعذوبة وبقيت الجزالة والمتانة صفتان لبعض الشعراء لا للشعر. وايضا كان الشعر العربي في هذا الدور يحكي عصره فكانت بذور للادب الفارسي والرومي لان العرب ورثوا مدنية تينك الامتين، فاغتنت آدابهم فيما ورثوا من مدنيات الاقوام التاريخية ، وكبرت عندهم ثروة المعاني مما تلاحق وتجمع من افكار القوميات المختلفة التي انضوت في المملكة الاسلامية، فكان احتكاك قرايح، وكان اختلاط اقوام، وكان امتزاج روحيات ، وكان تبادل في الاخلاق ، وكانت الترجمة ، وكان النقل اي انه كان التجدد في كل وجوه الحياة الاجتماعية فتأثرت نفسية الأمة ، وانفعلت المشاعر ، وتغير الشعور فتغير الشعر . ثم جاء دور رابع للشعر العربي، وهو دور الانحطاط الاجتماعي ، والضعف الشامل لكل اطراف الأمة العربية في ذلك الدور الذي عم فيه الجدب وجوه حياة الأمة العربية جاء دور الصناعة البديعية فلم يكن للشعر جزالة في اللفظ ، ولا رصانة في التركيب ، ولا سعة في الخيال ، ولا كبر في المعنى ، ولا جرس في النغمة، ولا رقة في المجازاة، ولا فخامة في الحقائق . كلّ ما هناك صناعة لفظية بركاكة وفهاهة، وكل ما هناك من الانواع العالية هو التفويف، والايهام ورد الصدر على العجز ، و و و ..... ففسدت اللغة، وضعف التأليف ، وسقم التحرير والتقرير ، وايضا ظل الشعر العربي يحكي عصره، وما فيه من انحطاط .

---

(1) جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2028 - 27 كانون الاول 1926 - 21 جمادي الاخرى 1345 هـ

# – 10 -

(1)

# تتمة

ثم طرأ التجدد على وجوه الحياة الاجتماعية للامة العربية فتجدد الشعر العربي، وكانت نسبة التجدد فيه مثل نسبة التجدد في نفوسنا ، وفي بيوتنا وفي ثروتنا، وفي علومنا فان التجدد في ذاك اثر من التجدد في هذا ، وكما ان حياتنا لم تكن عندنا بعد عصرية تماما فكذا الشعر. وقد نضجت عندنا بعض القرائح. فالرصافي (معروف) والشبيبي(محمد جواد) شاعران كبيران وبينهما تفاضل ، ولا اجد تفضيلا لاحدهما على الآخر من جميع الوجوه، ولكنهما قديمان في الاسلوب والنفس وليس لي ان اعتبر احدهما عصريا لاني لا ارى فيهما الجديد ، ولا المجدد وهما رئيسا جيل من اجيال الشعر كله قديم، وليس بينهما، وبين الفاروقي ورعيله الحبوبي وجيله فرق كبير الا انه من حيث الاتجاه بالشعر فقط.

اما الشيخ الزهاوي (جميل صدقي) فشاعر كبير ، ولكنه لا عتيق، ولا جديد.

# طبقة الفلاحين

وهم الجمهور العراقي. ترى الفلاح العراقي بسيطا ، وآلته بسيطة، وزراعته بسيطة فلا فن عنده، ولا وسائل جديدة، ولا مصرف، ولا خطوط . وهو أعزل إلا من قلب ملؤه ايمان وجلد . فهو ، وكوخه وبقرته والحرّة العراقية التي تخدم هذا ، وذاك وتلك. اما آلاته ، فمنجل ، وفاس ، ومحراث وسكة وحبل وثور. اما زراعته ، فستقف عليها . وكأنه يقوم في عمله الزراعي بوظيفة طبيعية مثل نور الشمس والهواء والماء ، ولا يعرف من فن الزراعة شيئا فلا يعرف من الامراض الزراعية والآفات الا الحاسد والسارق والجراد فيعالج الحاسد بعلم يرفعه في لوحه الزراعي، وينوي بذل شيء من النذور لذلك العلم الذي يعتقد انه يخلصه من الحاسد. والجراد يعالجه بالتعويذ، والادعية. وينصب للسارق وسط الواحه نصبا على صورة انسان حتى يتهيبه الطارق والسارق في جهمة الليل. وليس عند الفلاح العراقي نوع من الاسمدة غير البركة ولا يستعين بشيء من الوسائل الا بالدعاء ، والايمان، ذلك الايمان القوي ، واليك مثالا صغيرا من قوة ايمان الفلاح في العراق:

ان العراق ، وان كان بلدا زراعيا قبل كل شيء، ولكن زراعته منحطة الى درجة يمكن ان يقال ان حالتها حالة نبت المرعى فان شاءت الارض والحالة الجوية جادت به ، والا بخلت به.

والزراعة العراقية لا تعرف التدبير الزراعي ، ولا المبادرات الفنية فالحاصلات الزراعية عندنا في الغالب بقية العطش، والغرق .و المزروع في الغالب لا يتجاوز الحبوب الشتوية ، والقطاني، والارز، وغرس شجر الفاكهة من الانواع التي تعيش في الاقاليم المعتدلة ، وشتل النخل، وبعض الخضروات، والبقول ، وشيء من التتن مع تجربة للقطن في دائرة ضيقة، وقيل ان مجموع انواع النباتات التي توجد في العراق 80 نوعا.

كل من مسح العراق، وعرف سقي انهاره وبركة ارضه وحالات طقسه ونظر الى حاصلاته الطفيفة نسبيا يعلم ان العراق لم يزرع على قدر الفن ، والمساحة، والقابلية ، وانما هو مزروع على قدر المعرفة ، ومشيا على الاقدار، والاتفاقات، واليك النسبة التي تبين قوة انتاجه :

من الحنطة 1 ب 20
من الشعير 1 ب 10
من الماش 1 ب 15
من الذرة 1 ب 15
من الدخن 1 ب 60
من السمسم 1 ب 70
من الارز نثار 1 ب 25
من الارز شتال 1 ب 45

هذا هو معدل حاصلاته، وربما كانت اضعاف ذلك بكثير وهذه هي البركة الطبيعية، ولا يستعمل لها الفلاح العراقي شيئا من الاسمدة سوى انه عند انتهاء الحصاد يحرق اصول الزرع المحصود التي بقيت نابتة في الارض، وربما يطلق على مزرعته الماء، ويتركها كبطيحة لاجل التقوية، وربما تناول سكة وحرث المزرعة من دون بذر ولا زرع يقصد بذلك تقليب الارض ليكمل انتفاعها بنور الشمس فكيف تكون بركة الارض العراقية اذا استعمل الفلاح العراقي الاسمدة، واستعان بها على زراعته ؟

---

(1)جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2029 - الثلاثاء 28 كانون الاول 1926 - 22 جمادي الاخرى 1345 هـ

# - 11 -

# طبقة العمال

(1)

ان واديا زراعيا سهلا منخفضا خصب التربة معتدل الهواء لا سبخة ولا جبل، عذب المياه كثيرها من الغبن كل الغبن ان يبقى لشوك الجزيرة ، وقصب البطايح بين العجاج، والدجاج ، وقسمة السراب والعباب لا لشحة في ثروته الطبيعية، ولا لقلة الايدي العاملة. تلك القسمة التي كان الناظر اليها لا يرى الا كثافة وسوادا من اشتباك النخل، والتفاف الشجر اصبحت الى ابعد البصر بورا، والعمار خرابا . فلو صرفت العناية في اعادة ماضيها لحصلت الأمة، والحكومة على معدن متراكم من الذهب ، وتحسنت حالة الاهلين اقتصاديا، وهذا الاستدرار لا يتوقف على معاناة كبيرة فان اكبر الوسائل الحديثة لا يستطيع ان يخط انهارا او يشق جداول اكثر مما هو موجود فيه من الانهار والجداول الاثرية التي تظهر اثارها في الارضين الجامدة واغلبها تخترق الجزيرة من دجلة الى الفرات ، وربما تباريا حيث يقف الوارد فيغترف بيمينه من دجلة وبشماله من الفرات. ولا يفصل بينهما الا كما يفصل بين ثديي الام الحنون. فاستدرار بركات الارض العراقية متوقف على المباراة الفنية ، والالات الحديثة ، والمشاريع الزراعية كالمصرف الزراعي والخط الزراعي ، والمدارس الزراعية.

## طبقة العمال

العامل العراقي ضعيف، وفقير لا نظام له، ولا نقابة، ولا يوجد في اطرافه نوع من انواع التجدد ، واذا اصبحت الاشتراكية العمالية تفضل اليد العاملة على الفكر وعلى رأس المال فيتطلب ان تكون حصة العامل في المنتوج اكثر من رأس المال، واكثر من حصة المخترع او المنظم. فالعمل والعامل في العراق لا يؤبه لهما، ولا تقدرهما الحكومة، ولا الأمة فلا اجور مقررة ولا اوقات مضروبة، ولا مدارس للعمال، ولا نواد، ولا ارتباطات، ولا نقابات، وكلما هو موجود في العراق مكاتب اولية للعمل والصناعة كانت في العام الماضي ثلاثا، وفي هذه السنة ترقت والحمد لله، ولكنها كدست فصارت الثلاث اثنين حيث سدت مدرسة من مدارس الصناعة ، وسبب ذلك التقدم مشروع في تقدير المعارف الجديد. نعم ربما تقدم العامل العراقي وتجدد ولكن عمليا فقد استراح بعض النوتية في العراق من ذلك الحبل الذي يرضه على صدره، ويرزح تحته ساحبا لذلك الفلك المشحون مصعدا في دجلة، والفرات ،

واصبح النوتي يستعمل (الماكنة) البخارية لتسيير السفن النهرية. كما انه لم يبق اثر للقوافل في المسالك العراقية، والسبل فاستراح السائق والحادي من تلك المعاناة. وتتملذ المكاري العراقي على اصحاب الميكانيك فاصبح يحرك القطار ويسير الباخرة النهرية، ويسوق السيارة وانتهى عمل جماعة من العراقيين كانوا يعملون على ايجاد المصابيح والسرج بانواعها ، واقسامها، وصار العامل العراقي يعمل في ادارة الكهرباء، ويعمل على تنظيم اسلاكها ، وترتيب كواكبها. وتعاطى بعض الفلاحين السقي واسالة المياه بواسطة المضخات . ولكن كل هذا لا يعد تجددا، او تقدما للعامل او للعمل في العراق. وعلى كل فسوف يصبح للعامل العراقي في المستقبل القريب شأن مهم خصوصا الفلاح لان سير الاجتماع لا يهلك الضعيف بل ينهضه ويلف على عضديه شيئا من القوة والنشاط. لكن النظام الصالح مبني على المتانة، فلا يستطيع الضعيف ان يماشيه، ولكنه يسحقه بلا شفقة، نعم يسحقه بكل المنبهات، بالخطوب، بالحوادث بالضيم والهضم فيتمرن جسده، ولكن على ذلك المضض ، وتصبح تلك الويلات بمثابة رياضة بدنية تشد ساقيه، وتلف على عظمه بالقوة، وهنالك ينفجر الغليان في فورته وسورته الاولى وما هو الا انتقام الضعيف، ومطالبته بحقوقه.

خففوا خطاكم يا واطئين قبل ان تنبهوا الراقدين.

القوي غوي فهو بتنمره وشذوذه عن منهج الحق يبذر في قواه، وينفق جزافا . اما الضعيف فيجمع، ويستعد ، والحياة تلقي عليه دروسا لا يستفيد منها الا هو وحده. الضعيف طفل في حضن الطبيعة وفي مدرسة الاجتماع ينمو ويتدرج. والقوي رجل قد بلغ اشده فلا بد، وان يصبح يوما هرما خائر القوى. وان في الضعيف قوة لا يستهان بها تعرفها العروش المقلوبة ، ويقدرها حق قدرها الملوك الساقطون. وان ابناء الفقر المدقع ، وسحقاء الظلم والعنف هم الذين يندفعون الى الاعمار بحرارة وحماس شديدين فيكدون افكارهم ، ويبذلون افلاذ اكبادهم تخلصا من ويلاتهم، وانتفاضا من الشرور العالقة بهم .

من زوايا الفقر المظلمة يبزغ شعاع الحق، وعلى يد الشعب المهضوم ينتظم التخلص، ومن هذا الشارع نفذ الناس الى رحبة الحرية ، وفضاء الخلاص .

## انتهى

---

(1)جريدة العراق - السنة السابعة - العدد 2030 - 29 كانون الاول 1926 - 23 جمادي الاخرى 1345 هـ